البعد القِيمي والأخلاقي

في (القوس العذراء)

لمحمود محمد شاكر

إعداد الدكتورة

هالة فؤاد محمد محمد متولي

المدرس بقسم الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

القليوبية- جامعة الأزهر

البُعد القِيمي والأخلاقي في (القوس العذراء) لمحمود محمد شاكر

هالة فؤاد محمد محمد متولي

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، القليوبية، مصر

البريد الإلكتروني: halametwally5420@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على القيم الأخلاقية في قصيدة (القوس العذراء) للأستاذ محمود محمد شاكر بمقدمتها وخاتمتها النثريّتين، والتي مثّلت لكثير من الدارسين لها قراءة مُثلى ومنهجًا تذوقيًّا أمثل لإحياء التراث العربي. وقد اتبعت المنهج التحليلي، وكان مما خلص للبحث من نتائج: أن أبرز القيم الأخلاقية في قصيدة القوس العذراء والغرض الرئيس فيها هو إتقان العمل، واتصال قيمة الصبر بقيمة إتقان العمل جعل لها حضورًا بارزًا في القصيدة. وقد استحالت عَلاقة القواس بقوسه إلى علاقة رجل بأنثى؛ لذا فقد عرض البحث القِيم الأخلاقية التي برزت في القصيدة والتي تتصل بتلك العلاقة. كما استثمر الشاعر مشاهد تاريخ الأمم البائدة لأخذ العظة والعبرة منه، موظّفًا ذلك توظيفا يخدم التطور الدرامي للقصيدة. وقد نسج الشاعر لقصيدته خاتمة تفاؤلية تحث على الأمل والطموح، وتنبذ الاستسلام لليأس والحزن، وبهذه الخاتمة تنبه الدارسون إلى رمزية القصيدة بحيث بدا الشاعر مُشَخّصا فيها قضية أمته في صراع البقاء. وقدّم الشاعر عرضا فلسفيا لقيمة إتقان العمل والعلاقة بين الإنسان وما يبدع في المقدمة النثرية للقصيدة، في حين التزم في النص الشعري طريق التخييل متجنبا التقعيد الفلسفي والأسلوب الوعظي المباشر.

كلمات مفتاحية: القيم الخلقية، الشعر العربي الحديث، القوس العذراء، محمود محمد شاكر، إتقان العمل.

The Value and Moral Perspective in El-Kaws El-Azraa by Mahmoud Muhammad Shaker

Hala Fouad Mohamed Mohamed Metwally.

Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Qalyubia, Egypt.

Email: halametwally5420@azhar.edu.eg

Abstract:

This study aims to highlight the moral values in the poem of El-Kaws El-Azraa by Mr. Mahmoud Muhammad Shaker, with its prose introduction and conclusion. For many of those who have studied this poem, it is an ideal reading and an ideal approach to reviving the Arabic heritage. The results of the research, which has followed the analytical approach, include the following: the most prominent moral values in the poem and its main purpose is perfection of work; the connection between the value of patience and the value of perfection of work is remarkable in the poem; the relationship between the archer and his bow has turned into a relationship between a man and a woman, so the research presents the moral values that emerge in the poem from that relationship; the poet also exploits the scenes of the history of defunct nations to point out morals and lessons from them, employing this in a way that serves the dramatic development of the poem; the poet has woven an optimistic conclusion for his poem, urging hope and ambition, and rejecting surrender to despair and sadness; with this conclusion, scholars are alerted to the symbolism of

the poem, as the poet seems to be diagnosing the issue of his nation in the struggle for survival.

Keywords: Moral values - modern Arabic poetry - El-Kaws El-Azraa - Mahmoud Muhammad Shaker - perfection of work

المقدمة:

الحمد لله الملك الديان، خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل من البيان سحرا للقلوب والأذهان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد الذي أدى الأمانة بلا تقصير أو نقصان، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وإيمان.

وبعد،

فالقِيم تشكل محور التجربة الإنسانية التي تفصل الإنسان عن باقي الكائنات بما يمتلكه من مقومات فكرية تجعله يلتزم هذه القيم.

ومنظومة القيم العربية والإسلامية هي حصيلة صراع إنساني له أبعاده التاريخية والاجتماعية والحضارية المتباينة، التي ما انفكت تبسط ظلّها على حياتنا والتي يمكن أن تستجيب لأبعاد الحاضر ومعطياته المختلفة.

وقد نضحت إبداعات العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر ومؤلفاته برؤيته الحضارية وتصوره وطموحه لما ينبغي أن يكون عليه حال أمته، وأسفه الشديد على واقعها المُخزِي، وكانت (القوس العذراء) إحدى تلك الإبداعات التي سعى من خلالها إلى السمو بالنفس الإنسانية، من خلال توجيه الأنظار إلى تراثنا الزاخر الثريّ للتجليته والاستمداد منه والإضافة له.

وهذا البحث الموسوم بـــ (**البعد القِيمي والأخلاقي في القوس العذراء لمحمود محمد شاكر**) إنما يُعنى بالوقوف على القيم الإنسانية والخُلُقية التي برزت في (القوس العذراء) في ثنايا عرض مبدعها للصراع الإنساني على ظهر الأرض، وكذا الوقوف على طريقة الشاعر في تناول تلك القيم.

وتعد قصيدة (القوس العذراء) كنزا من روائع القصائد التي تمتاز بالحس المرهف، والتحليل الدقيق للنفس البشرية، وقد نظم الأستاذ شاكر تلك القصيدة

تخليدا للقائه بصاحب له، حيث تطرق الحديث بينهما في هذا اللقاء إلى العمل وتجويده، والفن وسحره، فإذا بالرجلين مؤتلفان يقدر كل منهما الآخر، ويُكبر فيه الهيام بالمثل الأعلى.

الدراسات السابقة:

حظي الأستاذ محمود محمد شاكر بالعديد من الدراسات الأدبية التي يضيق المقام لحصرها والتي تناولت جوانب مختلفة من العبقرية الشاكرية سواء منها ما تناول الأستاذ شاكرا مفكرا، أو محققا، أو ناقدا، أو كاتبا؛ وما ذلك إلا لمكانته في الأدب العربي الحديث؛ وسعيه الحثيث وجهده العظيم في مجال إحياء التراث العربي والكشف عن لآلئه وإبرازها للقارئ المعاصر، وقد عكفت على دراسة هذه القصيدة (القوس العذراء) نخبة من الأساتذة المتخصصين، وقدم عدد من الدارسين والباحثين جهودًا مقدَّرة ومهمة، وكان من أهم هذه الدراسات التي وجّهت اهتمامها إلى شعر الأستاذ محمود شاكر، أو إلى القوس العذراء تحديدًا والتي سبقت الدراسة الحالية ما يلي:

- مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ضمن دراسات عربية وإسلامية "مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين"، ١٩٨٢م.
- إحسان عباس، القوس العذراء، ضمن دراسات عربية وإسلامية "مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين"، ١٩٨٢م.
- محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ط١، دار غريب للطباعة، ١٩٨٣م.
- صابر عبد الدايم يونس، العلامة محمود شاكر في مواجهة النص "رؤية ومنهج"، مجلة الأدب الإسلامي، ع١٦، ربيع الآخر –جمادى الأولى – جمادى الآخرة، ١٤١٨هـ.

- عبده زايد، القوس العذراء (الصوت والصدى)، مجلة الأدب الإسلامي، ع١٦، ربيع الآخر –جمادى الأولى – جمادى الآخرة، ١٤١٨هـ.
- شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق، محمود إبراهيم الرضواني، ١٩٩٥م.
- القوس العذراء وعشق التراث، سعد أبو الرضا محمد، مجلة رابطة الأدب الإسلامي، مج٤، ع١٦، ١٩٩٧م.
- محمود محمد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، إبراهيم الكوفحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، ٢٠٠٠م.
- محمود محمد شاكر شاعرًا، أماني حاتم مجدي بسيسو، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م.
- محمود شاكر شاعرا، أحمد إبراهيم خليل، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ٢٠٠٣م.
- شعر محمود شاكر "دراسة بلاغية"، محمد جلال الذهبي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥م.
- الصورة الفنية في شعر محمود محمد شاكر، عبدالله بن خميس بن فرج، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٥م.
- القوس العذراء في الخطاب النقدي المعاصر، أيمن إبراهيم تعيلب، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م.
- البنية السردية في القصة الشعرية القوس العذراء للأستاذ محمود شاكر أنموذجا، محمود عبدالحميد السقا، مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م.
- المنزع البلاغي في ديوان القوس العذراء للأستاذ محمود محمد شاكر من زائية الشماخ بن ضرار رضي الله عنه، أحمد أحمد على عطوان، حولية كلية اللغة العربية بنين–جرجا، ع١٧، ج٤، ٢٠١٣م.

- الخطاب السجالي في أدب محمود محمد شاكر، عاصم محمد أمين بني عامر، مجلة مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، مج٤٩، ع٤، ٢٠١٤م.
- دراسة مقارنة في الشعر العربي القوس العذراء مثالا، طارق عبد الحليم، القسم الأول ديسمبر، والثاني، والثالث، والرابع، يناير ٢٠١٨م.

ولم تكن دراسة القيم الأخلاقية في القوس العذراء والتي اتخذت منها هذه الدراسة الحالية منطلقا من أولويات أي من هذه الدراسات السالفة الذكر.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي، ذلك المنهج الذي يقوم على التفسير، والنقد، والاستنباط، والذي يوفر للقارئ والباحث معا شيئًا من المتعة كلما انتقلا من فكرة لأخرى.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من التركيز على استخلاص القيم الأخلاقية في القوس العذراء للعلامة الأستاذ محمود شاكر بمقدمتها وخاتمتها النثريتيْن، تلك القصيدة التي مثّلت لكثير من الدارسين لها قراءة مُثلى ومنهجا تذوقيا أمثل لإحياء التراث العربي.

كما أنني لم أقف فيما بين يدي من مراجع على دراسة خصّت القيم الأخلاقية في القوس العذراء لأستاذنا وشيخنا محمود شاكر بالبحث.

تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن عدة تساؤلات منها:

- ما الفرق بين القيم والأخلاق؟
- ما هي القيمة الأدبية للقوس العذراء؟ وما منهج الشاعر فيها؟

- ما هي أبرز القيم الخلقية ظهورا في القوس العذراء؟
- ما هي طريقة الشاعر في تناول القيم الأخلاقية في ثنايا القصيدة؟

خطة البحث:

يقوم البحث على مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث، يعقبها خاتمة وتوصيات، وثبت للمصادر والمراجع.

التمهيد: مفهوم القيم الأخلاقية

أولا: مفهوم القيم

ثانيًا: مفهوم الأخلاق

ثالثًا: القيم الأخلاقية والشعر

المبحث الأول: قصيدة (القوس العذراء)/ القِيمة، والمنهج

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في (القوس العذراء)

المطلب الأول: إتقان العمل

المطلب الثاني: الصبر

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية في العلاقة بين الرجل (القواس) والأنثى (القوس)

المطلب الرابع: الاعتبار بالأمم السابقة

المطلب الخامس: التفاؤل

المبحث الثالث: طريقة الشاعر في تناول القيم الأخلاقية

المبحث الرابع: بين قصيدة الشماخ ورسالة القوس العذراء

المطلب الأول: القوافي والألفاظ

المطلب الثاني: مفتتح القصيدة

المطلب الثالث: الاستطراد والتوسع:

الخاتمة والتوصيات

ثبت المصادر والمراجع

التمهيد

مفهوم القيم الأخلاقية

أولا: مفهوم القيم:

القيم: جمع قيمة، وأصلها من مادة (قوم)، وقد استعملت في اللغة في عدة معان منها:

الاستقامة والاعتدال، ومنه قول كعب بن زهير[١]:

فهُم صَرفوكم حِين جرتم عَن الهدى بأسْيافهم حتّى استَقمتم على القِيَم

وفي القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [من الأنعام: ١٦١] أى: مستقيما لا عوج فيه، وقوله ﷻ: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [من البينة: ٥] أي: الأمة المعتدلة.

ومنها: الثمن، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، يقال تقاوموه فيما بينهم[٢]، ومنها: الثبات، والاستمرار، والدوام، فالإقامة في المكان: الثبات، ومنها: عماد الأمر ونظامه: القوام بالكسر: نظام الأمر وعماده وملاكه[٣]، ومنها توفية الحق: وفي القرآن الكريم: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨].

ويمكننا تعريف القيم اصطلاحا بأنها عبارة عن "الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين

---

(١) أبو سعيد السكري، ديوان كعب بن زهير، تحقيق مفيد قميحة، ص١٣٨، دار المطبوعات، الرياض.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ٥٠٠، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة. ١٩٩٧م.

(٣) المرجع السابق ٤٩٩/١٢.

الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه، ويكتسب من خلاله الخبرات والمعارف"(١).

ثانيًا: مفهوم الأخلاق:

الخلق هو: "الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها"(٢).

ويعرّفه أبو حامد الغزالي بقوله: "فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا"(٣).

وفى التراث الأدبي عرّف الجاحظ (ت٢٥٥ه) الخُلُق بقوله هو :"حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخُلُق قد يكون فى بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد"(٤).

فالأخلاق كما يُفهم مما مرّ مجموعة من الصفات النفسية أو السلوكيات التي توصف بالحسن أو القبح، وتجمع الأخلاق بين الصفات الفطرية المستقيمة التى فطر الله الخلق عليها، وبين الصفات التي يكتسبها الإنسان، كما تجمع بين

---

(١) عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، ص٥٩-٦٠، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، إبريل، ١٩٩٢م.

(٢) لسان العرب (١٠/ ٨٦)

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين (٣/ ٥٣)،دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

(٤) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص١٢، دار الصحابة، ط١، ١٩٨٩م.

الجانب الباطني النفسي وبين الجانب الظاهري السلوكي، وليس المقصود بالخلق مجرد الإتيان بالفعل ولكن يُقصد به ملازمة السلوك واعتياده.

في حين أن القيم كلها حسنة وطيبة، وأن منها ما يرتبط بالنفس ومنها ما يرتبط بالأخرين.

ومن هنا كان اختيار "البعد القيمي والأخلاقي" منطلقا لهذا البحث لأجل تقييد كل من المصطلحيْنِ بالآخر؛ فالقيم التي تَرد في النص الأدبي تتنوع بين القيم الإنسانية، والاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، والعلمية...، والأخلاق تنقسم بحسب المعنى اللغوي والاصطلاحي لها إلى أخلاق حسنة وأخري قبيحة.

فتقييد القيم بالأخلاق يقصرها على القيم الأخلاقية دون غيرها من القيم التي قد يتضمنها النص كما مر، وتقييد الأخلاق بالقيم يقصرها على الحسن والمحمود منها.

والقيم الأخلاقية تؤدي دورا هاما في تحديد سلوك الأفراد وتوجهاتهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، كما تؤدي الدور نفسه في تحديد سلوك الجماعة وتفاعلها بمختلف أشكال السلوك الاجتماعي.

وفى الوقت الراهن والعالم يواجه الكثير من التحديات تزداد أهمية القيم الأخلاقية لأنها طوق النجاة، لذا لا بد من الاهتمام بالنشء وتبصيرهم بعقيدتهم السمحة، وتعليمهم ما يحمله موروثهم الأدبي والثقافي والفكري من قيم، وحمايتهم من الأفكار المنحرفة والدخيلة.

ثالثًا: القيم الأخلاقية والشعر:

يزخر ديوان الشعر الإنساني عامة والعربي منه بخاصة بقيم أخلاقية تدعو إلى الحق والخير، فالشعر يقوي الدافع الأخلاقي ويترك في نفس المتلقي استعدادا لقبول التوجيه الأخلاقي، "وبما أن الأخلاق هيئات نفسية وطبائع في

النفس، والشعر تعبير عن أحوال النفس، فإن اللقاء بين الشعر والأخلاق يبدو أنه لقاء مُبكّر في النفس قبل أن ينتقل إلى سلوك الإنسان وأفعاله"(١).

وتظهر قيمة الشعر في قدرته على أن يمنح المتلقين مزيدا من الخبرة والبصر بالإنسان وبالكون من حوله، فالشعر "لا يفيد بما يقال منه على الألسنة، بل بما يسري في النفوس وما يحرك من بواعث الشعور"(٢).

وهذا الأثر النفساني للشعر هو المقصود عند فلاسفة المسلمين بالتخييل الشعري(٣)، فالتخييل إذن استجابة نفسية تلقائية غير واعية، تتم في غياب العقل، ودون أدنى تدخل منه، وهذه الاستجابة غير المتروَّى فيها التي يترتب عليها السلوكيات والأفعال الإنسانية(٤).

فالتخييل الشعري هو ذلك التأثير الذي يُحدثه الشعر في نفس المتلقي، وعلى أساس هذا التأثير يتوقف سلوك المتلقي ميلا أو رفضا للقيم التي تضمنها عليها الشعر.

وتأتي قيمة التخييل الشعري من أنه يُستخدم في إنهاض المرء نحو الفعل وفي توجيه السلوك الإنساني، والذي يساعد على قيامه بذلك قدرته على استمالة الناس خاصة الذين لا روية لهم ترشدهم، أو الذين لهم روية لكنهم آثروا التخييل فتوقفت انفعالاتهم وأفعالهم عليه(٥).

---

(١) محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي، ص٧١، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.

(٢) عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، ص١٦٤، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.

(٣) راجع: الحسين بن عبد الله بن سينا، الإشارت والتنبيهات مع شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، ص٣٦٣، ط٣، دار المعاف، مصر.

(٤) ينظر: ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ص١٢٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص١٢٥.

والشعر لا يعبر عن الأخلاق بطريقة فلسفية أو منطقية مجردة، وإنما يكون هذا التعبير من خلال تجربة شعورية يعيشها الشاعر.

وبقدر ما تحظى القيم الأخلاقية بنصيب من إبداع الشاعر تكون رؤيته الحضارية، تلك الرؤية التي تسعى نحو الكمال والجمال في الفكر والإحساس، وتتبنى السمو بالإنسانية إلى كل ما هو راق وحضاري.

المبحث الأول

قصيدة (القوس العذراء)/ القِيمة، والمنهج

للقوس فى الأدب العربى وجود يتخطى قيمتها في الواقع العمليّ، فلم تعد تقتصر على كونها ذلك العود المأخوذ من شجر النبع أو المستخدم في المطاردة والصيد والحرب، ولكن أمست "تحمل قيما جديدة أو دلالات على قيم جديدة ذات ارتباط بمشكلات إنسانية كبرى"(١).

وقد كانت (القوس العذراء) – بحسب ما جاء في مقدمتها النثرية– أثرا لحوار دار بين الأستاذ شاكر(٢)

---

(١) إحسان عباس، القوس العذراء، ص ٣، ضمن دراسات عربية وإسلامية "مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين"، صنف بطريقة الجمع التصويري، مكتبة الخانجي.

(٢) محمود بن الشيخ العلامة محمد شاكر – وكيل الأزهر، وأحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وأحد أعضاء الجمعية التشريعية– من آل أبي علياء، جده لأمه العالم الجليل الشيخ هارون عبد الرازق البنجاوي شيخ رواق الصعايدة، جد المحقق الكبير عبد السلام هارون، ولد في الاسكندريةعام ١٩٠٩م، تتلمذ على الشيخ سيد بن علي المرصفي، حصل على شهادة البكالوريا/ القسم العلمي، ظَل في كلية الآداب حتى السنة الثانية إذ نشب بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين في مسألة الشعر الجاهلي خلاف شديد ترك على إثره الجامعة وذلك عام ١٩٢٨م، ما بين سنتي ١٩٢٩–١٩٣٦ م انصرف إلى قراءة التراث الإسلامي قراءة شاقة صابرة، وشارك في الكتابة في المجلات والصحف، وفي سنة ١٩٥٢م تفرغ للعمل بالتأليف والتحقيق ونشر النصوص، فأخرج جملة من أمهات الكتب العربية، ونشر قصيدته الشهيرة (القوس العذراء) سنة ١٩٥٢م، وأعاد نشرها سنة ١٩٦٤م، اختير عضوا لمجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م، وعضوا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٢م، ومُنح جائزة الدولة التقديرية للآداب سنة ١٩٨١م، من أهم أعماله: كتاب المتنبي، أباطيل وأسمار، نمط صعب ونمط مخيف، ومن أهم كتبه المحققة: طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، أسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجاني، وتوفي رحمه الله سنة ١٩٩٧م عن ثمان وثمانين سنة. ينظر: حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، ص٧٥٥–٧٥٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م. وينظر: منذر محمد سعيد أبو شعر، معجم محمود شاكر، ص٧، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت –عمان ٢٠٠٧م.

وبين صديق له[١] "لا تبلى مودته" حول إتقان العمل، وقد ذكر الأستاذ شاكر أن هذا الحديث أبَى إلا أن ينقلب معه في طريقه عائدا إلى داره، مسرّا إليه "بوسوسة خفية من أحاديثه التي لا تتشابه والتي لا تتناهى والتي هي لا تمل أيضا"[٢]. ولم تكن هذه الوسوسات غير نظرات للأستاذ شاكر حول اختصاص الإنسان بإتقان العمل دون سائر الأجناس والمخلوقات.

فالقضية التي أولاها الأستاذ شاكر كل العناية والتفصيل من خلال رسالة (القوس العذراء) يمكن إيجازها فى العلاقة بين الإنسان والإبداع، وقد وقع الأستاذ شاكر بخبرته بالتراث الأدبى وطول مصاحبته ومدارسته له على نموذج تراثي يمثل إلى حد التطابق القضية التي يتصدى لبسطها هو القصيدة الزائية للشَّمَّاخ بن ضِرار[٣]، والتي جاء مطلعها[٤]: من الطويل

---

(١) "هو الأستاذ شفيق متري صاحب دار المعارف، ولم يكونا قد التقيا من قبل"، ينظر: عادل الغضبان، مجلة الكتاب، فبراير، ١٩٥٢م، ملحق بـــ (القوس العذراء)، دار المدني، جدة.

(٢) أبو فهر محمود محمد شاكر، القوس العذراء، ص ١٩، دار المدني، جدة، د–ت.

(٣) الشمَّاخ بن ضرّار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض، والشماخ لقب واسمه معقل وقيل الهيثم، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان شديد متون الشّعر، صحيح الكلام، وقيل عنه: إنه أشعر غطفان، كما عُرف بأنه أوصف الناس للقوس والحمار، وقد استشهد في غزوة موقان في زمن عثمان، وذكر محمد بن سلام الجمحيّ النابغة الجعدي والشّماخ وذؤيب الهذلي ولبيدا طبقة واحدة. ينظر: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٢٣، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة. الحسن بن بشر الآمدي، الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، (٩/ ١٨٤)، ط٢، دار الفكر، بيروت، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: ف. كرنكو، (ص: ١٧٧)، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
وينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٨٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـــ.

(٤) الشماخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادى، ص ١٧٣، دار المعارف، مصر،١٩٦٨م.

عَفَا بَطْنُ قَوٍ مِنْ سُلَيْمى فَعَالِزُ فَذَاتُ الغضا فالمُشْرِفَاتُ النّواشِزُ[١]

فكانت قصيدة الشماخ منفذاً بدا للأستاذ شاكر أن ينفذ من خلاله إلى تصوير أعماق النفس، حيث صور الأستاذ شاكر القواس والقوس معا عاشقين امتزجت روحهما، كما رصد في هذه القصيدة خفقات مشاعر القواس مذ كانت القوس عودا في شجرة نائية إلى أن أضحت بين يديه غانية جميلة، وتزداد المعاناة حين يعيش القواس فترة من الصراع والتردد والحيْرة التي صورتها القصيدة وذلك حين يساوم القواسَ بيِّعٌ في موسم الحج يبغي شراء قوسه.

إن القوس العذراء هي – بحسب الأستاذ شاكر– صدى لصوت الشماخ، وهذا التعبير (صدى) يكشف أنها تمثل استيحاء جليّا وترجمة فنية لما أثارته قصيدة الشماخ في نفس ذلك الأديب الخبير العضِل بدراسة التراث وقراءته من أفكار ومعان وصور.

وقد كان من اليسير على الأستاذ شاكر أن ينظم قصيدة يضمّنها ما يريد من فكَر، ولكن "الدلالة هنا ليست في محاولة الابتكار بقدر ما هي في العودة إلى التراث وربط الحاضر بالماضي وإيداع القوة الرمزية فيما يبدو بسيطا ساذجا – لأول وهلة– وفي ذلك كله نوع من الإبداع جديد"[٢].

وتمثل (القوس العذراء) ومقدمتها وخاتمتها النثريتان جانبًا عمليًا من منهج الأستاذ شاكر في التذوق وإن كان هذا التذوق قد استحال إلى إبداع شعري. ذلك

---

(١) بطن الأرض وباطنها: ما غمض منها واطمئن، ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٥٥، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه.، قو: موضع، لسان العرب، ١٥/٢١٢م.، عالز: موضع، ابن حجة الحموي، معجم البلدان، ٤/٧٠، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، الغضا: أرض فى ديار بنى كلاب، الغضا: واد بنجد، الغضا: شجر من أجود الوقود، الأرض ذات الغضا: أى الأرض التى فيها هذا الشجر بعينه، معجم البلدان، ٤/ ٢٠٥، النواشز: تل ناشز: مرتفع، لسان العرب (٥/ ٤١٧).

(٢) إحسان عباس، القوس العذراء، ص٦.

المنهج الذي هدى الأستاذ شاكر وقاده إلى "آفاق جمالية، ومنطق جديدة في التعرف على أسرار النص الشعريّ، التي يعز على الكثيرين من أهل الاختصاص إدراكها.."[١].

إن خبرة الأستاذ شاكر الواسعة وفهمه العميق للتراث العربي قد منحاه قدرة فائقة على حسن التمثل به والاستشهاد منه حتى "لتجيش المعاني في صدر محمود شاكر، ويتدفق بيانه بتحليلها، فإذا بها أوسع مدى من خاطر الشاعر، وأشد نفاذا في عمقها من فكر صاحبها"[٢]. وهذا ما جعل (القوس العذراء) تمثل منهج الأستاذ شاكر في قراءة التراث وتعاطيه، ذلك المنهج الأمثل الذي أدهش الدارسين.

ولا تقتصر القوس العذراء على كونها نموذجا لمواجهة عميقة فاحصة لنص تراثي، لكنها أيضا تنضح باعتزاز الأستاذ شاكر بالتراث العربي من حيث إنها تمثل إحياء له، ومن حيث إنه استهل قصيدته بأبيات أَعربت عن إعجابه وإكباره لهذا التراث. يقول[٣]: من المتقارب

تَجَاوبُ عَنْهُ كُهُوفُ القُرُونِ، تَرَدَّدَ فِيها كَأنْ لم يَزَلْ
وَأوْفَى عَلَى القِمَمِ الشَّامخَات: جبَالٌ مِنَ الشِّعْرِ مِنْهَا اسْتَهلْ
تَحَدَّرُ أَنْغَامُه المُرْسَلاَتُ، أَنَغَامَ سَيْلِ طَغَى وَاحتَفَلْ[٤]

---

(١) صابر عبد الدايم يونس، العلامة محمود شاكر في مواجهة النص "رؤية ومنهج" ص٥٢، مجلة الأدب الإسلامي، ع١٦، ربيع الآخر –جمادى الأولى – جمادى الآخرة، ١٤١٨ه.

(٢) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ص٤٥٧، ضمن دراسات عربية وإسلامية "مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين"، صُنف بطريقة الجمع التصويري، مكتبة الخانجي.

(٣) محمود شاكر، القوس العذراء، ص٣٥.

(٤) احتفل السيل: جاء بملء جنبي الوادي، اعتمدت في توضيح معاني مفردات القوس العذراء على ماجاء مثبتا في هامش الديوان في أكثر الأحيان.

فهذه الأبيات الثلاثة التي تصف الشعر الجاهلي والتي افتتح بها الأستاذ شاكر قصيدته تعرب عن اعتزازه بتميز هذا الشعر من حيث هو "أقدم شعر يُقرأ الآن بلفظه ونظمه ونغمه الذي وُجد عليه منذ أكثر من خمسة عشر قرناً"(١).

وقد أخذت هذه القصيدة أبعادا أخرى في قراءات الدراسين فرأوْا أن الأستاذ شاكر قد "أبان فيها عن نفسه أكثر مما أبان عن القواس، وشخَص فيها قضية أمته في صراع البقاء، أكثر مما شخص صراع القواس مع النفس والمال"(٢). وهذا الأمر أكسب للقصيدة مكانة تضاف إلى مكانتها.

وقد ضُمنت القوس العذراء من شوارد المعاني وأوابد الفكَر ما عُدت به من روائع الإبداع العربي الحديث، يقول الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى مقرِّظا تلك المعاني: "وهذه المعاني كما ترى غريبة مستورة، لا أعرف أحدًا شقّ حجبها بهذا البيان، وأبرز مكنونها بهذه الدقّة قبل هذه الرسالة"(٣).

وقد بلغت لغة الشاعر في هذه الرسالة ما بلغته معانيه وأفكاره فيها من فرادة وتميز، حتى ليحسب القارئ أن "هذه اللغة الشريفة كشفت عن جوهرها الشريف لواحد من أهل زماننا"(٤).

---

(١) محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص٦٢، ط١، دار غريب للطباعة، ١٩٨٣م .

(٢) عبده زايد، القوس العذراء (الصوت والصدى)، ص١٢٢، مجلة الأدب الإسلامي، ع١٦، ربيع الآخر –جمادى الأولى – جمادى الآخرة، ١٤١٨ه.

(٣) محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص١٤.

(٤) محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص١٧.

المبحث الثاني

القيم الأخلاقية في (القوس العذراء)

المطلب الأول: إتقان العمل:

العمل غاية إنسانية وواجب لا تقوم الحياة بدونه، وقيمة إسلامية تصل إلى مستوى العبادة، أما إتقان العمل فهو القيام بالعمل دون خلل فيه، والالتزام بما يتطلبه ذلك العمل من ضوابط، وأداؤه فى الوقت المحدد دون تأخير.

أ- فلسفة العمل عند الأستاذ شاكر:

لقد وقف الأستاذ شاكر "عند هذا العالم الحي الأعجم، والذي لا يختلف أواخره عن أوائله، والذي ترى أجناسه كأن كل جنس منها فرد واحد"(١) . فكل جنس من هذه الأجناس يمارس عمله في هذه الحياة على نهج واحد، وهَدي واضح، يستوى فيهما أولها وآخرها قديمها وحديثها لا يخطر بخَلَد الخلف منهم أن يستدرك أو ينافس عمل السلف.

ثم وقف عند عمل الإنسان وقدم حوله نظرات تنم عن إدراك وتقدير لقدرات الإنسان وإمكاناته، فرأى أن الإنسان كان فى أول مَدْرجه ككل كائن حي يسير على النهج الأول والهَدي القديم والفطرة التى فُطر عليها، "فلما ثبت عليها وتأيد، وتأثل فيها وعمر نظر إلى معروفها فاعتبر وهجم على مجهولها فاستنكر، فكأنه من يومئذ حاد عن النهج الذى لا يختل"(٢) .

فمنذ ذلك الحين تغيرت مسيرة الإنسان إلى سبيل آخر يغاير سبيل الغريزة التى لا تتبدل، تلك التى لم تحد عنها سائر المخلوقات إلا الإنسان وإذا بالإنسان قد "ابتلى من يومئذ فتمرس، وأسلم لمشيئته فتحير، جار وعدل، فعرف وجرب،

(١) محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص ١١

(٢) محمود شاكر، القوس العذراء، ص ٢٣

أخطأ وأصاب، فكر وتدبر، نزع إلى النهج الأول، فأخفق وأدرك، تاق إلى الهَدى القديم، فأُعطى وحُرم، احتفر ذخائر الفطرة، فأكْدت عليه تارة، ونبعت، التمس شوارد الإتقان، فندّت عليه مرة، واستقادت"(١).

لم يذعن كل جيل لاحق من بنى البشر بتمام صنع السلف بل تسرب الشك والقلق إلى نفسه فعمد إلى أن يستدرك على أسلافه، فإذا به يودع ما يعمل طائفة من نفسه وضراما من قلبه، "وإذا هو يستخفه الزهو بما حاز منه وملك، ويضنيه الأسى عليه إذا ضاع أو هلك"(٢).

لقد خشي الأستاذ شاكر أن يُظن أن للعمل المتقَن لا يحمل من ضرام نفس الإنسان وقلبه ما يحمله الفن، وأن غاية الإنسان من العمل لا تتجاوز قضاء مآربه دون شغف أو اقتنان بما ينتج عنه وأنهما – أي الشغف والافتنان– قصرا على أهل الفن دون أهل العمل؛ فأكد أن العمل "هو في إرث طبيعته فن متمكن، والإنسان بسليقة فطرته فنان معرق"(٣)، وأن الإنسان في سعيه بدأب نحو إتقان عمله إنما يسعى نحو الهَدي القديم والنهج الأول الذي ضل عنهما بسبب شكّه وقلقه، "وبمقدار ما يحصل الإنسان من درجات الإتقان يكون قربه من شاطئ الحقيقة الأزلية المطمورة فى داخل نفسه والتي ضلّها يوم قلق وحاد"(٤).

لكن هذا الإتقان لا يتسنى إلا لكل دَرِب صبور لَحُوح غير مَلُول، فإذا تيسرت تلك الصفات للصانع "انشقت فطرته عن فيض متدفق، ويومئذ يسفر لعينه مدب النهج الأول، بعد دروسه وعفائه ويستشري في بصيرته وميض الهَدْى المتقادم، بعد ركدته وخفائه"(٥).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤.
(٢) محمود شاكر، القوس العذراء، ص ٢٥.
(٣) المرجع السابق، ص٢٩.
(٤) محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص١٣.
(٥) محمود شاكر، القوس العذراء، ص٢٨.

وحين يستوي فى نظر الأستاذ شاكر العمل المتقن والفن- لا فرق في ذلك بين عمل الذهن وعمل اليد- يكون متوقعا أن يرتبط المتقِن بما يعمل ارتباطا يجعله "لا يفصم عنه حين يفصم إلا مطويا على حشاشة من سر نفسه وحياته، موسوما بلوعة متضرمة، على صبوة فُنيت في عشرته ومعاناته"(١).

ب- تقييم تلك الفلسفة:

تميزت النظرة التي قدمها الأستاذ شاكر في المقدمة النثرية للقوس العذراء حول قيمة العمل بأنه قد جعل إتقان الإنسان لعمله استنباطا لودائع الفطرة لأجل أن تفيض وتتدفق، وجعله أيضا سعيا نحو الهدي الأول بعد الحيد عنه، وهذا الإتقان هو السبيل الوحيد إلى سمو الإنسان ورقيه.

وهذه النظرة أكثر حيوية مما قدّمه الفلاسفة من نظرات حول العمل وإتقانه، فقد نَفَذ الأستاذ شاكر إلى أبعاد غابت عن الفلاسفة – برغم ما عُرف عنهم من عمق التفكير- إذ اقتصرت نظرتهم حول هذه المسألة على التفريق بين طريقة عمل المخلوقات لافتين النظر إلى أن الحيوانات (البُهُم) تعمل كل صنائعها بالإلهام في حين يتصرف الإنسان بالاختيار(٢).

وقد ارتقى الأستاذ شاكر بقيمة العمل المتقن ليتساوى مع الفن من حيث ارتباط كل منهما بالنفس الإنسانية حتى صار إتقان الصانع لعمله "وصقله للأشياء وصبره على تخليصها وتقويم عوجها، صبرا على تخليص جوهره هو، وإزالة لما تراكم على نبعه"(٣) لذا كان المؤلم لنفس الصانع أن يفارق ما صنع لما أنفق من خفقات نفسه في تلك الصناعة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨-٢٩.

(٢) ينظر: محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص١٤-١٥

(٣) المرجع السابق، ص١٨

جـ: الشماخ وإتقان العمل:

كان الشماخ من الشعراء الذين يتقنون صنعة الشعر لا سيما وصف حُمُر الوحش، حتى قال عنه الوليد بن عبد الملك وقد سمع شعره فيها "ما أوصفه لها! إني لأحسب أحد أبويه كان حمارا"(١) وذلك لأنه كان يتدسس في ضمائر الحُمُر فينطقها بما تكتم!

لم يغب هذا الأمر عن علم الأستاذ شاكر؛ ذلك أنه وصف الشماخ بأن "عمله البيان" وبأن "فطرته في اللسان"، ثم أكد ذلك بقوله(٢):

رَأَى حُمرَ الوَحْشِ، فَابْتَزَّهَا بِلاَبِلَها منْ حَدِيث الوَجَلْ (٣)

رَآهَا ظَمَاءً إِلَى مَوْرِدٍ، فَفَزَّعَها عَنْه خَوْفٌ مَثَلْ (٤)

لقد سلب الشماخ بشعره حمر الوحش أحاديث نفسها ووساوس قلبها المضطرب من شدة الخوف، فانبرى الأستاذ شاكر متعجبا ومتسائلا كيف استطاع الشماخ أن يرى بعيون الوحش وأن يفصح عما أضمرت وعما أُعجمت عن قوله؟ يقول(٥):

فَكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا البَيانُ حَتَّى رَأَى بعُيُونِ الحُمرْ؟

وَكَيْفَ تَغَلْغَلَ هَذَا اللسَانُ وَبَيَّنَ عَنْ رَاجِفَاتِ الحَذَرْ (٦)

---

(١) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٣/ ١٩٧، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.

(٢) محمود شاكر، القوس العذراء، ص٣٥.

(٣) ابتزها: غلبها وغصبها وسلبها، البلابل: وساوس القلب التى تضطرب فيه، الوجل: شدة الخوف.

(٤) مثل: انتصب قائما

(٥) المرجع السابق، ص٣٧

(٦) راجفات الحذر: التى ترجف بالقلب، حتى يضطرب اضطرابا شديدا

ومن بين قصائد الشماخ التي قد يجد الدارس لها كثيرا من العنت لخشونة ألفاظها ووعورتها، يقف الأستاذ شاكر عند قصيدة قد تضمنت قصة قواس صنع قوسا فأتقن صنعها حتى إن رميتها لا تخيب ثم اضطره الفقر والحاجة إلى أن يبيع القوس التي صنعها بيديه.

وهذه القصيدة قد نظمها الشماخ على قافية من أعنت القوافي(الزاي) ومن شواردها في ديوانه، ومطلعها[١]: من الطويل

عَفَا بَطْنُ قَوٍ مِنْ سُلَيْمى فَعَالِزُ فَذَاتُ الغضا فالمُشْرِفَاتُ النّواشِزُ[٢]

وجاء فى أخبار الشماخ" أنه أوصف النَّاس للقوس وأرجز النَّاس على البديهة"[٣].

د- الرامي[٤] وإتقان العمل:

لقد اتصف (رامي شاكر) بما اتصف به (رامي الشماخ) من خبرة بالرمي تصل إلى أن حُمُر الوحش تنصرف عن الشرب عند رؤيتها هذا الرامي؛ لأنها

---

(١) الشماخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادى، ص ١٧٣، دار المعارف، مصر،١٩٦٨م.

(٢) بطن الأرض وباطنها: ما غمض منها واطمئن، ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٥٥، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه.، قو: موضع، لسان العرب، ٢١٢/١٥م.، عالز: موضع، ابن حجة الحموي، معجم البلدان، ٧٠/٤، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، الغضا: أرض فى ديار بنى كلاب، الغضا: واد بنجد، الغضا: شجر من أجود الوقود، الأرض ذات الغضا: أى الأرض التى فيها هذا الشجر بعينه، معجم البلدان، ٤/ ٢٠٥، النواشز: تل ناشز: مرتفع، لسان العرب (٥/ ٤١٧).

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (٣/ ١٩٧)

(٤) عامر أخو الخُضْرْ، المحاربي، من ولد مالك [بن طريف بن خلف بن محارب. وكان يقال لولد مالك] الخُضْرْ، لأنه كان شديد الأُدْمة [السُّمرة والسواد]، وكان عامر راميا حسن الرمي، فلذلك قيل له الرامي. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٩١).

تعرفه عرفان العاقل الذي ينأى بنفسه عن مواطن الهلَكة ويجنبها ما قد يعود عليها بالأذى والكيّ الذي تُفضي إليه الجراح الغائرة.

إن سهم هذا الرامي يسابق كل داعٍ إلى الفرار فيسبقه وبالتالي فإنه يقتل رميَّه قبل أن تنتقل له قدم فيصيبها الموت وهي لا زالت واقفة لم تسقط بعد، يقول:

وَأَنَّ اَلخَصَاصَةَ قَوْسُ البَئِيسِ، إذا انْقَذَفَ السَّهْمُ عَنْها قَتَلْ!(١)

يُسَابِقُ مُسْتَنْهِضَاتِ الفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلْ!(٢)

فَيُدرِكُهَا اَلموتُ مَغروسَةَ قَوائِمُها في الثَّرى.. لَمْ تَزُلْ!

وإدراك حمر الوحش بمهارة هذا الرامي وحذقه للرمي عرفّها كذلك أن سهامه بيضاء النصال تلألأ لحدتها.

وَعَرَّفَهَا أَنَّهُنَّ السِّهَامُ: زُرْقٌ تَلأَلأُ أَوْ تَشْتَعِلْ!

وَصَفْرَاءُ فَاقِعَة، أَذْكَرَتْ مَصَارِعَ آبَائِهِن الأول

سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الحَائِمَاتِ، وقَوسٌ تُطِلُّ بِحتْفٍ أَظَلْ!

وهذه السهام مع القوس المصنوعة من النبع الأصفر قد ذكّرت حُمُر الوحش بمصارع آبائها. فهذه السهام ترى مقتل الحيوانات التي تحوم حول الماء راغبة في الري، وتلك القوس تطل بموت حتمي يخيم بظلاله على المكان.

هـ: القواس وإتقان العمل

رسم الشاعر صورة القواس مؤكدا على مهارته بصناعته، وممارسته إياها زمنا.

تَخَيَّرهَا بَائِسٌ، لَمْ يزل يُمَارِسُ أَمْثَالهَا مُذْ عَقَلْ

---

(١) الخصاصة: الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال.

(٢) مستنهضات الفرار: التي تنهض به داعية الفرار.

كما ارتفع بالقواس عن الفكرة المعتادة لمهارة الصانع وخبرته وسحذقه لصنعته، فلم يقصرها على المهارة اليدوية، ولكن جعل مردّها إلى التذوق الفني والإحساس الوجداني(١)، يقول الأستاذ شاكر:

تَبَيَّنَهَا وَهْيَ مَحْجُوبَةٌ، وَمِنْ دُونِها سِتْرُهَا المُنْسَدِلْ

حَمَاهَا العُيُونَ فأَخْطَأَنَهَا، إلىَ أنْ أَتَاهَا خَبِيٌر عَضِلْ

فلم يكن للقواس أن يعثر على تلك العود المثالي من النبع لولا خبرته ونظرته الثاقبة.

وككل صانع حاذق يوفر من الأدوات ما يعينه على صناعته خير عون، فإن هذا القواس قد وجه نحو العود مبراة حادة لا تقاوَم ولا تُرد، تلك المبراة كالمقاتل الشرس الذي يُوثَق بانتصاره وغلبته لكل خصم متمرد مشهود بقوته وعتوه. فكان أن تم للقواس ما أراد وحصل على العود بعد لأي وانطلق منتشيا بفوزه هازا أعطافه، وبدأ يمارس مهام عمله في إتقان وصبر نادرَي المثال:

مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ.. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءِ خَضِلْ(٢)

يُعَرِّضَها لِلَهيبِ الهَجِير، رَؤُوفاً بِهَا، عَاكِفاً لا يَمَلْ

فلما اكتمل في العود ما يروم القواس من صلابة، أخذ يقومها بالثقاف ويهدبها بالطريدة حتى استوى قدها:

أَعَدَّ الثِّقَافَ لَهَا عاشِقٌ يُؤَدِّبُها أَدَبَ المُمْتَثِلْ

وَعَضَّ عَلَيْها.. فَصَاحَتْ لَهُ، فَأَشْفَقَ إشْفَاقَةً، وَانْجَفَلْ(٣)

فَجَسَّ، فَغَاظَتْهُ وَاسْتَغْلَظَتْ، فَعَضَّ بِأُخْرَى، فَلَمْ تَمْتَثِلْ

---

(١) ينظر: محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ص٤٦٤.

(٢) اللحاء: قشر العود من الشجر. الخضل: الناعم الرطب الندي.

(٣) انجفل: ارتاع فارتد مسرعاً.

فَأَلْقَى الثِّقَافَ...، وَأَوْصى الطَّرِيدَةَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا، لاَ تَكِلْ[١]

وَأَلْقَمَهَا قَدَّها، فَانْبَرَتْ تُخَاشِنُها بِغَلِيظٍ مَحِلْ

وحين فرغ من تهذيب العود، فتق يُعد لها وترًا قويا فتله على أربع طاقات ثم هيأ للقوس سهاما لا تقل جودة عنها إذ غذتهم أم واحدة (شجرة النبع).

لم يأل هذا القواس المتقن لعمله جهدا في صناعته للقوس حتى انبرت على أحسن ما تكون القسي فصارت نموذجا أعلى ومثالا خليقا بأن يحتذي به في تلك الصناعة.

وككل صانع متقن يصعب علي نفسه فراق إبداع يديه نجد القواس يتردد طويلا في بيْع قوسه:

أُفَارِقُها! وَيْكَ!! هَذَا السَّفَاهُ! قَوْسِيَ! كَلاَ! خَدَيني وَخَلِّ!!

فإذا اضطره بؤسه وفاقته إلى البيْع ألفيناه حزينا مهموما باكيا تحترق نفسه وينزف قلبه.

وفَاضَتِ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الحَمِيم، لَذَّاعَةٌ، نَارُها تَسْتَهِلّ

بُكَاء مِنَ الجَمْرِ جَمْرِ القُلُوب، أَرْسَلَهَا لاَعِجٌ مِنْ خَبَلْ [٢]

وَغَامَتْ بِعَيْنَيْهَ، وَاسْتَنْزَفَتْ دَمَ القَلْبِ يَهْطِلُ فِيما هَطَل

وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ، وَهيضَ اللِّسَانُ لَهَا وَاعْتَقِلْ

وَأَغْضَى عَلى ذِلَّة مُطْرِقًا، عَلَيْه مِنْ الهَمِّ مِثْلُ الجَبَلْ

وهذا الفراق المشوب بالأسى واللوعة والدموع يؤكد ما ذهب إليه الأستاذ شاكر في مقدمة رسالته من أن الصانع المتقن لا يفارق ما أبدع ولا "يَفْصِم عنه

(١) الطريدة: قصبة مجوفة بقدر ما يلزم القوس، فيها سفن خشن، والسفن (بفتحتين) هو ما يسمى (السنفرة).

(٢) لاعج: محرق.

حين يَفْصِم، إلا مطويا على حشاشة من سر نفسه وحياته، موسوما بلوعة متضرمة على صبوة فُنيت في عشرته ومعاناته"(١).

وقد أدرك قيمة هذه القوس المتقنة الفريدة، وهذه البراعة، والإبداع في الصنع بيِّع لديه الخبرة في المساومة وتقدير الأشياء، وقد وُصف ذلك المشتري خلال القصيدة من وجهات ثلاث: أحدها: وجهة القوس، تلك أشركها الشاعر في كثير من الحوار في القصيدة، فكان أن أبدت توجسها وخيفتها من ذلك المشتري مذ لمحته، وأخذت تصيح بباريها محذرة بعد أن تيقنت من مكر يد المشتري التي تحسستها في خفاء:

بكَمْ تَشْتَرِيها؟! .فَصَاحَتْ بِهِ : حــذَارِ! حــذَارِ! دَهَــاكَ الخَبَلْ!!

لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ مَكْرهَا عَلَي، فَدَع عَنْكَ! لاَ تُغْتَفَلْ

وثانيتها: وجهة القواس ذلك الذي انشغل بما بدا على هيئة المشتري من نعيم وسؤدد غلب على ظنه أنه نشأ وترعرع فيهما:

أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبّ السمَاء وَالأَرْض!.. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلْ؟!

أَجُنَّ؟! نَعَمْ.. لاَ!.. أَرَى سُورةً مِنْ العَقْل، لاَخَلجَاتِ الخَبَلْ!(٢)

وَعَيْنَيْ صَفَاءِ كَمَاء القلاَتَ، وَعِرْنِينَ أَنْفٍ سَمَا وَاعتَدَلْ (٣)

وثالثتها: وجهة الشاعر التي هي بلا شك مصدر النظرتين السابقتين تجاه المشتري. لقد رأى الشاعر ذلك المشتري الحاذق "شديد الجرأة، رافع النظرة، خفي الحركة، متظاهرا بالتثاقل، لبيق اليد، شديد المحال، زليق اللسان"(٤)، يقول:

---

(١) محمود شاكر، القوس العذراء، ص٢٩

(٢) السورة : المنزلة الرفيعة المشرفة الظاهرة.

(٣) القِلات (جمع قَلْت، بسكون اللام): نقرة في الجبل يقطر فيها ماء، والعرنين: الأنف تحت مجتمع الحاجبين، حيث يكون الشمم، وهو دليل على كرم الأصل.

(٤) إحسان عباس، القوس العذراء، ص٩

يُدَانِي الخُطَا، وَهْوَ نَارٌ تَؤُجُّ، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكَفُّ العَجَلْ

وَمَدَّ يَدا لا تَرَاها العُيُونُ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلْ

وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلّْ

فَأَسْلَمَهَا لِشَدِيد المِحَالِ، ذَلِيق اللِّسَانِ، خَفِيِّ الحِيَلْ

على أن تصوير الشاعر للمشتري بالطير الكاسر وبالنار المشتعلة، وليَدِه التي "لا تراها العيون" "وأخفى إذا ما سرت من أجل" ولنظرته "صليل سيوف تسل" يكشف عن تحامله عليه وعن رفضه لكل ما قد يفرق بين الأليفين (القواس وقوسه).

ويبدأ هذا المشتري الحاذق مساومة القواس مستعينا بما يتمتع به من ذلاقة اللسان:

وَقَالَ : فَدَيْتُكَ! مَاذَا حَمَلتَ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ يَاذَا الرجُلْ؟!

وَأَفْدِي الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا، وَقَوَّمَ مُنْآدَها، وَاعْتَمَلْ!![1]

فَبِعْنِي إِذَنْ!! هِيَ أَغْـلَى عَلَّي، إِذَا رُمْتَهَا، مِنْ تِلاَد جَلَلْ![2]

قَالَ : نَعَمْ! لَكَ عِنْدِي الرِّضى، وَفَوْقَ الرِّضَى! [وَيْلَهُ مَنْ مُضِلْ!]

فَدَيْتُكَ!! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ!.. مَابِيَ فَقْرٌ ولا بِي بَخَلْ

ثم يزداد إلحاحا وإغراء للقواس البائس بإغلاء الثمن:

بُرُودٌ تَضِنُّ بِهِنَّ التِّجَارُ إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكٌ أَجَلّْ

وَمِنْ أَرْضِ قَيْصَرَ : حُمْرٌ ثَمَانٍ جَلاَهَا الهِرَقْلِيُّ، مِثْلُ الشُّعَلْ [3]

ثَمَان تُضيءُ عَلَيكَ الدُّجَى! إِذا عَمِيَ النَّجْمُ، نعمَ البَدَلْ

---

(١) المنآد: المعوج. اعتمل: جاهد في عملها.

(٢) التلاد: المال الموروث الذي ولد عندك.

(٣) جلاها: صقلها. الهرقلي: الرومي، نسبة إلى هرقل الملك.

وكان العرض مغريا للقواس البائس، ولم يستطع منه فكاكا فكانت الغلبة للمشتري بخبرته وكياسته وثرائه.

لقد قدمت لنا القوس العذراء قصصا متتالية من الخبرة والمهارة وإتقان العمل:

- قصة شاعر ماهر يرى بعيون حُمُر الوحش ويُفصح بلسانه عن راجفات الحذر.
- قصة رام ماهر لا يداوَى رميُّه يتنكب قوسا.
- قصة قواس أتقن صنع القوس وصبر عليها حتى قضاها حق إحسانها.
- ولأجل تلك القوس المتقنَة يظهر بيِّع خبير ذو نظرة ثاقبة وقدرة على تقدير الأشياء حق قدرها .

ويُردف الأستاذ شاكر هذه القصيدة الرائعة بخاتمة نثرية يؤكد فيها موقف الدين الداعي إلى إتقان العمل والحاث عليه، فيؤكد أن إتقان العمل مقصد من مقاصد الدين يُرضي الخالق ﷻ، ويحث على التخلق به النبي ﷺ إذ يقول: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"(١).

على أن نظرة الدين إلى نبل هذا الخلق، وضرورة التخلق به لا تقتصر على عمل دون آخر وإنما تشمل كل الأعمال جليلها ومتواضعها، يقول النبي الكريمﷺ: " إِنَّ اللهَ ﷻ كَتب الإِحسانَ عَلَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتلتم فَأَحسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذبَحتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحتَهُ"(٢).

ويؤكد الأستاذ شاكر أن موقف الدين الإسلامي الحنيف من قيمة العمل وخُلُق إتقان العمل إنما هو موقف "يضيء لكل حيّ منهجَه ويُمسك عليه هَدْي فطرته"(٣).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٢٤/ ٣٠٦، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٢٨/ ٣٥٣) تحقيق: شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد- وآخرون، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

(٣) محمود شاكر، القوس العذراء، ص ٧١

هكذا انطلق الأستاذ شاكر في دعوته إلى إتقان العمل في القوس العذراء من منطلق ديني إلى جانب المنطلق التراثي الذي استوحى منه هذه القصيدة.

المطلب الثاني: الصبر:

الصبر هو: "حبس النفس عند الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عند التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغى فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية"(١)، فالصبر هيئة نفسية لموقف الإنسان أمام الأشياء والأعمال فى الكون والحياة.

ويندرج تحت الصبر معان وصفات أخلاقية متعددة لكن أكثرها وضوحًا فى (القوس العذراء) يمكن حصرها فى:

أ- الصبر على العمل:

يرتبط خلق الصبر بإتقان العمل ارتباطًا وثيقًا يدركه العقل ويصدقه الواقع، فالإنسان فى عمله إنما يتزود لإتقان هذا العمل بالصبر الجميل، فيصبر على مشاق عمله وصعوباته ويفني فيه من عمره ومن خلجات نفسه دون ضجر أو سأم.

والمتأمل لما وُصف به (قواس الأستاذ شاكر) يجد أن هذا القواس استعان على إتقان عمله بخُلُق الصبر فحينًا نراه يصبر على ما يلقاه من عنت فى سبيل الوصول إلى الغصن المرجو:

سُتُورٌ مُهَدَّلَةٌ دُونَهَا، وَحُرَّاسُها كَرِمَاحِ الأَسَلْ(٢)

يَبِيسٌ ورَطْبٌ وَذُو شَوكة فأَشْرَطَها نَفْسَهُ.. لمْ يَبلْ

---

(١) ابن القيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ص٢٤١، دار الكتب العلمية، بيروت، د-ت.

(٢) مهدلة: مرخاة متدلية. الأسل: نبات دقيق القضبان طويل شديد الاستواء.

وَسلَّ لِسَاناً من الباتِرَاتِ،... وَانَغلَّ عاشِقُها المُخْتَبَلْ!!

يَحُتُّ اليَبِيسَ، ويُرْدِي الرِّطَابَ، ويُغْمِضُ في ظُلَمات تُضِلْ[١]

فَهَتَّكَ أَسْتَارَهَا بَارِزاً إلى الشَّمْسِ.. قد نَالَها! حَيَّهَلْ!!

فالعود التي تخيرها القواس محجوبة ممنعة لكنه يملك عزيمة يلين أمامها كل صلد.

وما إن حاز القواس على تلك العود المرجوَّة حتى بدأ يمارس مراحل عمله التي مرت بنا من قبل في دأب وصبر منفقا فى سبيل إتقان هذا العمل جهده ووقته ،"مستهينا بحر الشمس، ولفح الهجير، وقسوة الصحراء، وضراوة الجبل"[٢].

ب: الصبر على الفاقة:

لم يتجرع هذا القواس مرارات الجهد المضني فقط ولكنه تحمل فوق ذلك" قسوة الحاجة ولدغ الفقر وضراوة الجوع وبشاعة الهزال"[٣].

مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ.. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءِ خَضَلْ

وَفِي البُؤسِ عَامَيْنِ... يَحْيَى لَهَا، وَيُحْيِيه منها: الغنَى وَالأَمَلْ

تَردَّدَ عَامَيْنِ... مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا، عِنْدَ سَفْحِ الجَبَل

يُغَنِّي لَهَا، وَهُوَ بَادِي الشَّقَاءِ، بَادِي البَذَاذَةِ، حَتَّى هُزِلْ[٤]

لم يفارق البؤسُ (قواسَ الأستاذ شاكر)، فمذ عثر على القوس:

تَخَيَّرهَا بَائِسٌ، لَمْ يزل يُمَارِسُ أَمْثَالهَا مُذْ عَقَلْ

---

(١) يحث اليبيس: يستأصل اليابس ويرميه. ويردي: يسقط الرطب. ويغمض: يوغل.

(٢) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ص ٤٦٥

(٣) المرجع السابق، ص ٤٦٥

(٤) البذاذة: رثاثة الهيئة وسوء الحال.

ثم هو فى أثناء صناعته لها يصبر على البؤس والفقر البادِيين على جسده وهيئته عامين كاملين دون سخط أو ملل.

يُزَلْزِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُميتُ الأَمَلْ

وقد أبصر هذا القواس البائس بيِّع فى مواسم الحج وأغراه ما بالقواس من بؤس وفاقة أن يبتاع قوسه:

رَأَى بَائسا مَالهُ حُرْمةٌ تَكُفُّ أَذىً عنه..، بُؤْسٌ وذُلْ

وَقَالَ : فَدَيْتُكَ! مَاذَا حَمَلتَ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ يا ذَا الرجُلْ؟!

وهذا البؤس المؤلم قد جعل القواس" ضحية صراع نفسي عنيف بين الواقع والمثال، وبين الحب والمال، بين العاطفة والعقل"(١):

أَجَلْ!! بَلْ هُوَ البؤْسُ بَادٍ عَليَّ! فأَغْرَاهُ بي! وَيْحَهُ! مَا أَضَلْ!!

يُسَاوِمُنِي المَالَ عَنهَا؟! نَعَمْ!.. إذَا لَبِسَ البُؤْسُ حُرًّا أَذَلْ

إذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيه العُيُونُ، وَإنْ قَالَ رُدّ كَأَنْ لَمْ يَقُلْ

نَعَمْ! إنَّهُ البُؤْسُ!! أَيْنَ المَفَرُّ مِنْ بَشَرٍ كَذِئَاب الجَبَلْ؟!

ثَعَالبُ نُكْرٍ تُجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصةً تُهْتَبَلْ

كلاَبٌ مُعَوَّدَةٌ لِلهَوَانِ تُبَصْبِصُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ بَذَل

فَوَيْحِي مِنَ البُؤْسِ!.. وَيْلٌ لَهُمْ!!. أَرى المَالَ نُبْلاً يُعَلي السِّفَلْ

لقد صور الأستاذ شاكر بؤسَ القواس سببًا فى كل ما لحق وما سيلحق به من أذى، حتى تمثل الفقر وحشا مخيفا تمدد فى نفس القواس فأنساه كل شئ إلا أن يثور على واقعه"(٢).

---

(١) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ص ٤٧٣.

(٢) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء "رؤية في الإبداع الفني"، ص ٤٧٥.

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية في العلاقة بين الرجل (القواس) والأنثى (القوس)

تطورت علاقة القواس بتلك العود بمجرد أن وقعت عينه عليها، فهو لم يرَ فيها مجرد غصن يناسب صنع قوس جديدة تمام المناسبة، ولكنه:

رَأَى غَادَةَ نُشِّئَتْ في الــظِّلَال، ظِلالِ النعيم، فَصَلَّى وهَلّ

فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَا فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكِ! [يَاقَدَّها المُعتَدلْ]

إن هذا القواس/ العاشق قد سمع نداء العود وأجابه، و كل ما حدث من نداء واستجابة يرتفع بالعلاقة بين القواس والعود عن الواقع المعهود، "فألفينا أنفسنا أمام عاشق يسعى إلى العثور على معشوقته... فلما وجدها استجابت لحبّه بدليل ندائها له"(١).

اعتمد الشاعر في تصوير العلاقة بين القواس وقوسه منذ بدايتها على التجسيد؛ فبدت العلاقة بينهما علاقة رجل (عاشق) بأنثى (معشوقة)، فالقوس منذ وقعت عين القواس عليها أضحت تمثل محبوبة تعلّقت بها نفس صاحبها، وهي بعد هذا كله كائن سوي يتحدث إلى صاحبه ويحاوره، ويجري بينهما الغزل، ويزدهيه منها الجمال(٢)، على أن تلك العلاقة قد اتسمت بكثير من القيم الأخلاقية التي ارتقت بها.

فالقوس /الأنثى "محجوبة"، "مستورة"، "تخطئها العيون"، "غادة نشئت في ظلال النعيم"، "محروسة".

تلك كانت صفات عود الضال التي تخيرها القواس، وهي تجسد تلك العود كأميرة مترفة منعمة محجوبة عن العيون وحولها من الحراس ما لا يسهل تجاوزة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٦٥.

(٢) إحسان عباس، القوس العذراء، ص٧.

تَبَيَّنَهَا وَهْيَ مَحْجُوبَةٌ، وَمِنْ دُونِها سِتْرُهَا المُنْسَدِلْ

حَمَاهَا العُيُونَ فأَخْطَأْنَهَا، إلىَ أنْ أَتَاهَا خَبِيِّر عَضِلْ

رَأَى غَادَةَ نُشَّتَتْ في الــظِّلَال، ظِلالِ النعيم، فَصَلَّى وهَلّ

فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَا فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكِ! [يَاقَدَّها المُعتَدلْ]

سُتُورٌ مُهَدَّلَةٌ دُونَهَا، وَحُرَّاسُها كَرِمَاحِ الأَسَل

يَبيسٌ ورَطْبٌ وَذُو شَوكة فأَشَرطَها نَفْسَهُ.. لمْ يَبلْ

وهذه القوس/ الأنثى إن أطاعت عاشقها بعد دلال ولانت له بعد جفوة، وأذاقته هوى بعد يأس، فإنها تظل حرة، حصانا، عفيفة، لا تلين إلا لعاشق حييّ نبيل.

أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بَالوجْدِ عَامَيْنِ حَتَّى نَحلْ

يُزَلْزِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُميتُ الأَمَلْ

فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ، إذْ ذَاقَهَا، هَوًى أَضْمَرَتْه لَهُ لَمْ يَزَلْ

تَبَّينَ إذْ رَامَهَا، حُرَّةً حَصَاناً، تَعِفُّ فَلاَ تُبْتَذلْ

تَلِينُ لأَنْبلِ عُشَّاقِهَا، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إذَا مَا جَهِلْ

وهذا **القواس/ العاشق** لا يبالي بما يلقي من عنت في سبيل الوصول إلى محبوبته، وما إن حاز تلك العود حتى طمأنها بين راحتيه برُقية وتعويذة أحيا بها صبابتها ووجدها.

فَلَمَّا اُطْمَأَنَّتْ على رَاحَتَيه، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرِقَانِ القَبَلْ

رَقَاهَا، فأَحْيَى صَبَابَاتِها بتَعْوِيذَةٍ مِنْ خَفِيِّ الغَزَلْ

وهذا القواس "مشفق"، "لهيف"، "لطيف"، "رفيق"، "وجل"، "رؤوف"، "عاكف لا يمل"، فإذا رأى فيمن أحب نشوزا أو خلقا يسوؤه أدّب في إشفاق وقوّم في صبر وحلم.

يُغَنِّي لَهَا، وَهُوَ بَادِي الشَّقَاءِ، بَادِي البَذَاذَةِ، حَتَّى هُزِلْ

يُقلبها بِيَدَيْ مُشْفِقٍ لَهِيف لطِيف، رَفِيق، وَجِلْ

يُعَرِّضَها لِلَهيبِ الهَجِير، رَؤُوفاً بِهَا، عَاكِفاً لا يَمَلْ

كما أنه نبيل حييّ كريم، يبذل ما يملك في سبيل إسعادها.

فَأَغْضى حَيَاءً..، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا، قَدْ عَجِلْ

فَأَهْدَى لَهَا حِلْيَةً صَاغَهَا بِكَفَّيْهِ، وَهْوَ الرَّفِيقُ العَمِلْ

تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤبٍ، رَآهَا لَدى أُمِّها تَسْتَظِلْ

ولفرط غَيْرة هذا العاشق فإنه لا يحتمل أن تُبدي معشوقته انشغالًا أو رحمةً بأحد سواه ولو كان سهما "من بني امها".

فَكَفَّلَهَا مِنْ بَنِي أُمِّها صَغِيرا، تَرَدى بِرِيشٍ كَمَلْ

فَضَمَّتْ عَلَيْه الَحشَا رَحْمَةً وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ.. لَوْ عَقَلْ!

فَجُنَّ جُنُونُ المُحبِّ الغَيُورِ..! فَأَنْبَضَ عَنْها أَبِيٌّ بَطَلْ! (١)

فبوَحْي من غريزة "الأم الكامنة في الأنثى ضمّت القوسُ هذا السهم وكادت تكلمه"(٢)، ولكن العاشق الغيور يريد أن يستقل وحده باهتمام معشوقته وحنانها ورحمتها؛ لذا ظل يفجّعها في إخوتها تباعا حتى رضخت مستغنية بعاشقها عن كل أحد.

فَظَلَّ يُفَجِّعُها أَنْ تَرى جَنَائزَ إِخْوَتِها... وَآثَكَلْ!

فَآبَا.. يَسَائُلُهَا: هَلْ رَضِيتِ بِثُكلِ الأَحَبَّةِ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

حينئذ سكنت غيرة هذا العاشق وهدأ جنونه وعاد إلى سابق عهده معها مغازلًا مساهرًا مفتونًا بما حباها الله من آيات الجمال، مشفقًا عليها ومجنّبًا إياها مواطن الهلكة، وباذلًا لأجل حمايتها غير مستبقٍ.

---

(١) أنبض القوس: جذب وترها ثم أرسله: فيسمع له صوت كالبكاء.

(٢) محمد مصطفى هداره، القوس العذراء "رؤية في الإبداع الفني"، ص٤٦٨

فَسَاهَرهَا يَزْدَهِيه الجَمَالُ وَيُسكِرُهُ العَرْفُ، حَتَّى ذَهَلْ

فَنَادَتْهُ : وَيْحَكَ! أَهَلَكْتَنِي! أَغِثْنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلْ

كَسَاهَا حَفِيّ بهَا عَاشِقٌ! إِذَا أَفْرَطَ الحُبُّ يَوْمًا قَتَلْ

فَأَلْبَسَها الدِّفْءَ ضِنًّا بِها... وَبَاتَ قَرِيرا. عَلَيْه سَمَلْ!!(١)

وقد استغنى العاشقان أحدهما بالآخر، لا يباليان أين نزلا، فكلاهما في مأمن يحرسه الآخر ويمنعه.

فَيَحْرُسُهَا وَهْو فِي أَمْنَةٍ وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الوَجَلْ(٢)

وعاشا متجاوبين هانئين بعيدان عن كل ما يعكر صفو وُدّهما.

وَغَابَا مَعًا عَنْ عُيُونِ الخُطُوب، وَعَنْ كَلِّ وَاشٍ وَشى أَوْ عَذَلْ

وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ العَاشِقَيْن، تُضِيءُ الدُّجَى لِدَبِيبِ المَلَلْ

وبذلك يتبين كيف لم يقتصر الشاعر على صفات الجمال الخِلقي للقوس/ الأنثى، ولكن ارتقى بها إلى الجمال الخُلُقي فإذا هي حصان، عفيفة، وإذا هي حنونة، حييّبة، وفيَّة. وكذا فإن القواس/ العاشق شفيق، رفيق، وفيّ، حييّ، يصون محبوبته، ويرعاها حقّ الرعاية، ويقوم على أمرها على أحسن ما تكون القوامة.

إن ثمة تساؤل يطرح نفسه في هذا المقام هو: لماذا اختار الأستاذ شاكر العذراء رمزا للقوس؟

وثمة إجابات منطقية تطرح نفسها هي الأخرى:

- أن القوس الفريدة المصنوعة من عود نبع محجوب تشبه العذراء المصونة الحييّة.

---

(١) قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق الدريس البالي.

(٢) غواشي الوجل: ما يغشاه من المخاوف.

-أن العذراء الضعيفة تحتاج هي الأخرى إلى من يضنّ بها ويقدّرها قدرها كما كانت قوس القواس تحتاج لذلك.

-لتصوير قوة الصلة بين القواس وقوسه وشدة تمسكه بها فيكون بعد ذلك مألوفا غير مستبعد حزنه على فراقها.

-أنه وجد أن علاقة الصانع المتقن بصنعته أو الفنان بفنه لا يعادلها إلا ألفة الأليفين.

وربما لهذه الأسباب مجتمعة أو لغيرها أيضا تخير الأستاذ شاكر العذراء رمزا للقوس.

المطلب الرابع: الاعتبار بالأمم السابقة:

الاعتبار فعل إيجابي مبني على رؤية عميقة جمعت بين التأمل في تجارب الآخرين وبين الرغبة في الاستفادة منها، يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [من سورة يوسف: ١١١]، وهو لا يقف عند حدود الفهم والانفعال الساكن، ولكن يتعداه إلى الفعل الواعي المتعظ، فالاعتبار يجمع بين النقد الواعي للماضي، والإدراك الجيد للحاضر، والنظر المتفائل إلى المستقبل.

وقد تنقل القواس في القوس العذراء مصطحبا قوسه بين منازل الأمم السابقة، فشاهد الديار الخالية من سكانها، ورأى كيف تفرّق الأصحاب، وكيف خرّت العروش، وكيف تَهاوت الحضارات.

مَجَاهِلَ مَا إنْ بِهَا مِنْ أَنِيسٍ، وَلاَ رَسْمِ دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَلْ
يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ، وَمَجْدُ القَدِيمِ، وَكَيْف انتَقَلْ!
وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الأَوَّلُونَ رَحِيقَ الحَيَاةِ وَخَمْرَ الأَمَلْ!
وَأَيْنَ الأَخِلاَّء كَانُوا بِها يَجُّرونَ ذَيْلَ الهَوَى وَالغَزَلْ!
وَمَلْكٌ تَعَالَى، وَطَاغٍ عَتَا، وَحُر أَبَى وَحَرِيصٌ غَفَلْ!

فَدَمْدَمَ بَيْنَهُمُ صَارِخٌ: بَقَاء قَلِيلٌ!! وَدُنْيَا دُوَلْ!!

فَعَرْشٌ يَخِرُّ، وَسَاعٍ يَقَرُّ، وَسَاقٍ يَمِيلُ.. وَنَجْمٌ أَفَلْ!!

وهذا الإسقاط لعبرة التاريخ على حياة القواس وقوسه في تلك الفترة التي كانا هانئين سعيدن فيها إنذار وإرهاص بأن هناءة العيش لا تدوم، فكما ابتدت حيوات الأمم البائدة بالمجد والسعادة ثم أفلت بالدمار والحسرة؛ فإن سعادة هذين الخليلين مهددة بالزوال وأحوالهما الهانئة قد تتبدل، وهذا إرهاص بأحداث مأساوية تنتظرهما، وحزن يلوح في الأفق ينذر بأن قد اقترب أوان فراق الأحبة وأفول السعادة، لقد "تعمد الشاعر أن يتسرب هذا المعنى إلى نفوسنا لنستعد لرؤية ختام حزين لقصة الحب تلك التي بلغت ذروتها في السعادة"(١).

وقد نجح الشاعر في توظيف هذه القيمة بما يخدم التطور الدرامي لأحداث القصيدة، مستثمرا ما تستدعيه هذه المشاهد في الذهن والنفس من اعتبار وعظة وتوجس من صروف الزمن وإقرار بأن الحياة "بقاء قليل ودنيا دول".

المطلب الخامس: التفاؤل:

بعد أن فارق القواس صنع يديه تكالبت عليه الهموم واكتنفه اليأس، وانكب على وجهه حزينا بائسا، وبينما هو على هذه الحال إذ أطلت له بارقة أمل، إنها عذراء جديدة قد نُشّئت هي الأخرى في ظلال النعيم.

وَشقَّت لَهُ السُّدَفَ الغَاشِيَاتِ حَسْنَاء ضالٍ عَلَيهْا الحُلَلْ(٢)

أَضَاءَ الظَلاَمُ لَهَا بَغْتَةً، وَقَوَّضَ خَيْمتَهُ وَارْتَحَل

أَطَلَّتْ لَهُ مِنْ خِلاَلِ الغُصُونِ عَذْرَاء مَكْنُونَة لَمْ تُنَلْ

---

(١) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء "رؤية في الإبداع الفني"، ص ٤٧٠.

(٢) السدف: (جمع سدفة): ظلمة مختلطة بضوء يشوبها. الضال: السدر ينبت في السهول. تسوى من قضبانه السهام.

«رَأى غَادَةً نُشِّنَتْ فِي الظِّلاَلِ، ظِلاَلَ النَّعِيمِ»، عَلَيْهَا الكللْ[1]

عَروسٌ تَمَايَلُ مُخْتَالَةً، تُمِيتُ بدَلّ، وَتُحْيِي بِدَلَ

أخذت تناديه ليفيق من همومه، ويصحو من سكرة أحزانه، وذكّرته بأن "سر يديه" الذي أبدع به القوس الأولى لن يستعصي عليه إبداع أخرى.

وَنَادَتْه، فَارَتَــدَّ مُسْتَوفِزًا بَجُرْحٍ تَلَظى ولَمْ يَنْدمِلْ:[2]

أفِقِ! قَدْ أَفَاقَ بِها العَاشِقُون قَبْلَكَ، بَعْدَ أَسىً قَدْ قَتَلْ!

أَفِقْ! يَا خَلِيلِي! أفِق! لاَ تَكُنْ حَلِيف الهُمُومِ، صَرَيع العِلَلْ

فَهَذَا الزَّمَانُ، وَهَذِي الحيَاةُ، عَلّمْتنيها قَدِيمًا: دُوَلْ!!

أَفِقْ! لاَ فَقَدْتُكَ! مَاذَا دَهَاكَ؟! تَمَتَّعْ! تَمَتَّع! بِهَا! لاَ تَبِلْ!

بِصُنْع يديْك تَرَاني لَدَيْكَ، فِي قَد أُخْتِي! وَنِعْمَ البَدَلْ!

وحينئذ يستفيق القواس من سكرة حزنه متثاقلا، فيجيبها:

صَدَقْتِ! صَدَقْتِ!. وَأَيْنَ الشبَابُ؟ وَأَيْنَ الوَلْوعُ؟ وَأَيْنَ الأَمَلْ

وهنا تلح (القوس الجديدة) على القواس أن يستثمر ما حباه الله به من موهبة.

صَدَقْتِ صَدَقْتِ!!.. نَعْمَ قَدْ صَدَقْتِ! وَسِر يَدَيْك كَأَنْ لَمْ يَزَلْ

حَبَاكَ بِهِ فَاطِر النيِّرات، وَبَارِي النَّبَات، وَمَرْسِي الجَبَلْ

فَقُمْ! وَاسْتَهِلَّ، وَسَبِّحْ لَهُ! وَلبّ لِرَبٍ تَعالىَ وَجَلّ

ولعل الوازع الديني الذي يحثنا على التفاؤل وينهانا عن الطيرة والتشاؤم قد أبى على الأستاذ شاكر أن ينهي دراما القصيدة نهاية مأساوية محبطة، فكان أن نسج لها خاتمة أخرى أكثر عزاء وتفاؤلا على الرغم من اكتفاء القصيدة المستوحاة بتلك الخاتمة المأساوية، وهي حزن القواس، يقول الشماخ[3]:

---

(١) الكلل (جمع كلة): وهي الستر الرقيق، كالذي تكون فيه العروس.

(٢) المستوفز: هو القاعد إذا استقل على رجليه يتهيأ للقيام، ولما يستو قائما بعد.

(٣) الشماخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادى، ص ٩٠.

فَلَمَّاَ شَرَاهَا فَاضَتِ العَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصَّدرِ حَزَّازٌ مِنَ الوَجْدِ حَامِزِ[١]

تلك الخاتمة المتفائلة التي أضافها الشاعر المستوحِي، تخفف من وطأة الحزن واليأس اللذيْن تجرعهما المتلقي مع (قواس الأستاذ شاكر)، وتبعث في نفسه الطموح والأمل.

لقد أراد الشاعر أن يعبر "عن إرادة الحياة القوية في النفس الطامحة القادرة التي لا تركن إلى اليأس، ولا تقتلها الهموم، ولا يعتصرها الحب حتى يفقدها معنى الحياة"[٢]، ويبدو أن الأستاذ شاكر وقواسه قد جرى في عروقهما ماء الحياة فلا يقبلان عن الفن وإتقان العمل بديلا.

وهذه الخاتمة التفاؤلية هي أكثر ما يوجه القارئ إلى أن (قوس الأستاذ شاكر) تمثل الحضارة الإسلامية، ذلك أنه في آخر بيت في قصيدته "قدم لنا الشرط الأساسي الذي يمكّن القواس من صناعة قوس أخرى، لها خصائص القوس الأولى مع أنها غيرها، وهو أن يرجع القواس إلى منهج ربه"[٣].

وهذا الشرط يؤكد أن الأستاذ شاكر يعتقد أتم الاعتقاد أن التمسك بالدين والرجوع إلى منهج الخالق ﷻ هو السبيل الوحيد لصلاح هذه الأمة، ذلك السبيل الذي أكدت لنا تجارب التاريخ أنه الوحيد الصحيح والمعبّد وهو السبيل ذاته الذي سلكه الأوائل حين صنعوا المجد والحضارة.

لقد اتخذ الأستاذ شاكر من القوس وقواسها "قناعًا يُعبِّر به عن قضية أمته، وكيف يمكن أن تستعيد حضارتها، أو تصنع حضارة جديدة مناسبة لطبيعة العصر"[٤].

---

(١) حامز: ممضٌّ مُحرِق.

(٢) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء"رؤية في الإبداع الفني"، ص٤٧٨

(٣) عبده زايد، القوس العذراء الصوت والصدى، ص١٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٦

فيمكننا أن نفهم من خلال ما يرمز إليه استخلاص الشاعر تلك القصيدة من التراث، ومن خلال ما أبرزه من معاناة القواس ومن طمع البيّع فيما بين يدي هذا البائس، ومن خلال تلك القوس الفريدة فرادة تجعلها محط الأنظار ومطلب الجميع أن الشاعر مهموم بأمته وبحضارتها المهددة وبتراثها الثريّ الخصب الذي يحتاج جهودا مخلصة متكاتفة لاستخلاصه وحمايته والإفادة منه والإضافة له، وأنه ينعي على أبناء أمته تخليهم عما أتقن آباؤهم الأُوَل وانطماس هويتهم.

هكذا فإن هذه الخاتمة التفاؤلية تضيف إلى القوس العذراء قيمة أخرى هي التوجيه والتعبير عن الأمل، بخلاف قصيدة الشماخ التي اقتصرت على التصوير والمعالجة القصصية(١).

وما أحوجنا في ظل ما تمر به أمتنا إلى من يُعلى فيها القيم الأخلاقية، وينادي بتجدد الأمل، ويرفع راية إتقان العمل، ويقدم لنا تاريخنا العريق محققا مشروحًا لنفيد منه ونضيف إليه، ما أحوج كل الأمم لاسيما أمتنا إلى كل ذلك في السلم والحرب.

(١) دراسة مقارنة في الشعر العربي القوس العذراء مثالا، طارق عبد الحليم، ص٣٩ بحث إلكتروني، موقع الشيخ طارق عبد الحليم، القسم الأول ديسمبر، والثاني، والثالث، والرابع، يناير ٢٠١٨م.

المبحث الثالث

طريقة الشاعر في تناول القيم الأخلاقية

تناول الأستاذ شاكر في المقدمة النثرية قيمة العمل وإتقانه تناولا أظهر فلسفة متميزة، هذا التناول يتفق مع طبيعة الخطاب النثري الذي يكون الكاتب فيه متخففا من أعباء الوزن والقافية، لكنه في النص الشعري من القوس العذراء لم يتبع هذا النهج في تهيئة المتلقي للخطاب الأخلاقي بل التزم طريق التخييل التي تشكل مع العاطفة الطريقة التعبيرية للشعر.

وتُظهر عاطفة الشاعر موقفه الأخلاقي من القضايا والأخلاقيات التي برزت في القصيدة، وهي تمثل دعوة غير صريحة يوجهها الشاعر إلى المتلقي لاتخاذ الموقف ذاته من تلك القضايا والأخلاقيات، وهذه النقطة هي التي يتلاقى عندها الشعر والأخلاق، لأن "الشعر يقوي الباعث الأخلاقي بينما يترك للأخلاق أن تُكمل بقية العملية الأخلاقية تهذيبا وتصحيحا للسلوك ... بعدما أوجد في نفس المتلقي الاستعداد النفسي لقبول الأمر الأخلاقي"(١).

وعلى هذا فإن القيم الأخلاقية في القصيدة تجربة فنية لها وليست خطابا تنظيريا؛ فقد طرح الشاعر القيم الأخلاقية على شكل مواقف سلوكية للشخصيات التي قامت عليها القصيدة وليس على شكل مفاهيم وتصورات فلسفية ومنطقية.

كما أنه لم يقدم لنا تلك القيم بأسلوب وعظي أو نصحي أو حكمي مباشر، ولكن كان عرضها بأسلوب غير مباشر، يتسلل إلى المتلقي فيدركها ويتجاوب معها وتستقر في نفسه وعقله.

وهذه الطريقة في العرض تُعمق الإحساس بالفضائل، وتزيد من تفعيل الاتجاه السلوكي عند المتلقي بما تحمل من طوابع تأثيرية غايتها تجسيد المثال أو النموذج.

---

(١) محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي، ص٧٠-٧١.

فلكل عمل فني دلالتان: أحدهما تاريخية نسبية، والأخرى إنسانية عامة، فإذا تجرد منهما كان عبثا، وهذان الدلالتان تعبران عن الحس الأخلاقي للشاعر وعن قيمه، فالقيم هي روح العمل متى انطوى عليها فإنه يزهو بها، ومتى تجرد منها لم يكن شيئا ذا بال(١).

إن المتأمل للقوس العذراء يدرك أن دروسا متعددة قد أفادها من تلك الرسالة، وهذه الدروس تتنوع بين عدة جوانب منها "الأدبي والروحي، ومنها الاجتماعي والفلسفي، ومنها التاريخي الحضاري" (٢).

على أن ثمة فائدة أخرى جليلة وهي تحقيق التواصل بين الماضي والحاضر؛ فإن المتأمل في القصيدتين يتلاشى أمام عينيه الفارق الزمني بين عصريْهما، والفارق الحضاري بين مبدعيْهما.

هذا كله إلى جانب البعد الفلسفي الذي رسّخ قواعده الأستاذ شاكر في المقدمة النثرية للقوس العذراء، ذلك البعد الذي ظهر جليًّا في نظرة الأستاذ شاكر إلى العمل المتقن.

والقصيدة برمتها تحمل قيمة أخلاقية كبرى وهي إكبار التراث والاعتزاز به، وتوجيه أنظار القرّاء المعاصرِين إلى ما في هذا التراث من نفائس تستدعي التنقيب عنها.

لقد نفذت بصيرة الأستاذ شاكر عبر غياهب القرون فأبصرت في قصيدة الشماخ ما لم تبصره عين من أعين القرّاء على مدى الحقَب والسنون، واستلهمت منها ما لم يستلهمه مبدع على مدى العصور الأدبية المتلاحقة مذ نظم

(١) ينظر: وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص ٣٢١ بتصرف.
(٢) طارق عبد الحليم، دراسة مقارنة في الشعر العربي....القوس العذراء مثالا، ص٢.

الشماخ قصيدته تلك التي اقتصرت الأبصار على أن أدركت ما فيها من جودة في المعاني والبيان، فشهدت لمبدعها بالفحولة وعدتها أفضل شعره(١).

أما شيخنا العملاق الفذّ فقد كانت تلك القصيدة التي لم تعد أن وصفت ما اعتاد القوم على وصفه في زمن الشماخ من وصف الأقواس والنبل ومطاردة الوحش ونحو ذلك له بمثابة كنز ثمين ومعدن نفيس يمكن للحاذق أن يصنع منه ما يسحر الألباب ويأسر النفوس.

وقد وضع الأستاذ شاكر بصنيعه في القوس العذراء بين أيدينا نموذجا عمليّا وتطبيقيّا لفكرة يجدر ألا تغيب عن العقول والأذهان هي "فكرة انبثاق الجديد من القديم وإشاعة طرائق المفكرين المسلمين واجتهادهم وجهودهم في خلق المعرفة، وقدراتهم الفائقة على تطويرها..."(٢).

فالمعاصرون من المهتمين بالعربية أمام تحديات جادة سببتْها الهجمات المتواترة على هذا التراث الأصيل، وأهم هذه التحديات هو إثبات أن تراثنا ليس تراثا جامدا منغلقا على نفسه، وإنما هو تراث ثريّ عريق يملك القدرة على الوصول إلى آفاق جديدة، وكذا تقريب التراث من أذهان الدراسين حتى يتسنى لهم قراءته وتذوقه فيعتزون به ويفتخرون بانتسابهم إليه.

---

(١) أجاد الشماخ في هذه القصيدة حتى عدّه بعض العلماء من أوصف الناس للقوس، وعدّه الحطيئة أشعر العرب لأبيات منها، واختارها صاحب جمهرة أشعار العرب كاملة تقريبا ضمن مختاراته وعدّها من عيون الشعر العربي، كما كان الكثير من أبياتها موضع عناية الكثير من القدماء في مؤلَّفاتهم المختلفة، ينظر: الشَّمّاخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادى، ص ٢٠٣.

(٢) محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص٦٢.

المبحث الرابع

بين قصيدة الشماخ ورسالة القوس العذراء

المطلب الأول: القوافي والألفاظ:

لقد قال النقاد بكزازة[١] شعر الشماخ؛ ذلك أن الشماخ كان: "شَدِيد متون الشّعْر أَشد أسر كَلَام من لبيد وَفِيه كزازة ولبيد أسهل مِنْهُ منطقا"[٢]، وقصيدته التي نحن بصددها تبين هذه الكزازة، لاسيما مع روي خشن مثل رويّ (الزاي)، ذلك الرويّ الذي ترك القصيدة "خشنة وعرة جافية تحس فيها قسوة الصحراء بصخورها ورمالها ولهيبها"[٣]، حتى إنه ليصعب ويمتنع على لغوي خبير ضليع أن يأتي به إلا في قواف معدودات.

فكان بدهيًّا أن يتخير الأستاذ شاكر لرسالته قوافي أسهل من قافية الشماخ وأكثر طواعية، فكانت قافية المقدمة هي الهاء الممدودة، وفيها يتساءل:

أين كانت في ضمير الغيب من غِيل نماها؟[٤]

كيف شقّت عينه الحُجب إليها فاجْتباها؟[٥]

وكانت قافية القوس العذراء/ القصيدة الصدى هي: اللام الساكنة، ولهاتين القافيتين دلالة هي – بحسب الدكتور طارق عبد الحليم– أن الهاء الممدودة تعبر عن الغائب، فالشاعر في مقدمته التي لخص فيها موقف المساومة والشراء لم يتطرق إلى تفاصيل الموقف، فكأنه غير متواجد فيه، ولكن أخبر عنه إجمالا،

---

(١) الكز: الذي لا ينبسط، وجمل كز: صلب شديد، ورجل كز: قليل المؤاتاة والخير بيِّن الكزز، والكزازة: اليبس والانقباض، وكز الشيء: جعله ضيقا. لسان العرب (٥/ ٤٠٠)

(٢) طبقات فحول الشعراء (١/ ١٣٢)

(٣) محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ص ٤٥٧.

(٤) الغيل: الشجر الكثير الملتف، نماها:رفعها وسوّاها وانتسبت إليه.

(٥) اجتباها: اختارها واصطفاها.

فلما أراد التفصيل انتقل إلى قافية أخرى هي اللام الساكنة لما فيها من حس الجزم القاطع فهو شاهد بعينه حاضر بنفسه(١).

فقصيدة المقدّمة إنما كانت بمثابة استنطاق لقصيدة الشماخ؛ إذ طرح الأستاذ شاكر فيها جميع أفكار قصيدة الشماح ولم يزد عليها زيادة تُذكر، فهي تصور قراءة الأستاذ شاكر لقصيدة الشماخ، ثم هي في الوقت ذاته توجه المتلقي إلى المعاني التي برزت عند الشماخ، أي إنها إيجاز ومحاكاة للقصيدة الأولى، أما القوس العذراء فإنها تمثل صدى القصيدة المستوحاة في نفس الأستاذ شاكر أي إن وجهة نظر الشاعر المستوحِي حاضرة فيها.

ولا شك أن قافيتي الهاء الممدودة واللام الساكنة أكثر سهولة وطواعية من قافية الزاي التي هي من شوارد القوافي حتى في ديوان الشماخ نفسه الذي لم ينظم عليها غير تلك القصيدة، وشوارد القوافي يكون لها بالغ الأثر في ألفاظ القصيدة حيث تتركها خشنة وعرة.

ولكن قصيدة الشماخ على ما فيها من خشونة وكزازة فإن فيها من المعاني والبيان ما يجعلها "تأخذ بالألباب، وتقود بالنواصي إذا صابرتها زمنا"(٢).

على أن الأستاذ شاكر مشهود له بصقل اللغة، وهذا الصقل للغة إنما كان أثرا لصقل المعاني، فالمعاني الرفيعة الراقية التي هو بصددها إنما تقتضي لغة تماثلها رفعة ورقيّا حتى تنجح في الوفاء بحق تلك المعاني والإبانة عنها، كما أنه مشهود له أيضا بالقدرة الفائقة على تركيز المعاني في ألفاظ قلائل حتى لنجد الكلمة الواحدة تفيض بكثير من المعاني والصور(٣).

---

(١) طارق عبد الحليم، دراسة مقارنة في الشعر العربي....القوس العذراء مثالا، ص١٣.

(٢) وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص٣٢٠، عالم المعرفة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ١٩٩٦م.

(٣) ينظر: محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ص ٤٠-٤٢.

ومع هذا فإن هناك أمر هام يمنعنا من تفضيل أي من النصّيْن على الآخر وهو انتماء النصيْن إلى عصريْن أدبييْن مختلفين وإلى عالَميْن متفرّديْن[١]، فلكل عصر من العصريْن أبعاده الحضارية، والثقافية، واللغوية، وقضاياه المجتمعية التي شغَلت المبدع وأثّرت فيه؛ الأمر الذي يجعل التفضيل بين النصّين غير مُجْد.

المطلب الثاني: مفتتح القصيدة:

لقد افتتح الشماخ قصيدته بذكر الأطلال على ما هو مألوف ومعهود في القصائد العربية حينئذ، فقال: من الطويل

عَفَا بَطْنُ قَوٍ مِنْ سُلَيْمى فَعَالِزٍ فَذَاتُ الغضا فالمُشْرِفَاتُ النّواشِزُ[٢]

أما الأستاذ شاكر فقد تجاوز تلك المقدمة التقليدية متخليا عنها، وقانعا بقصة الحب المختلفة بين القواس وقوسه، يقول[٣]:

تَجَاوبُ عَنْهُ كُهُوفُ القُرُونِ، تَرَدَّدَ فِيها كَأنْ لم يَزَلْ
وَأوْفَى عَلَى القِمَمِ الشَّامخَات: جبَالٌ مِنَ الشِّعْرِ مِنْهَا اسْتَهلْ
تَحَدَّرُ أَنْغامُه المُرْسَلاَتُ، أَنَغَامَ سَيْلِ طَغَى وَاحتَفَلْ[٤]

---

(١) البنية السردية في القصة الشعرية القوس العذراء للأستاذ محمود شاكر أنموذجا، محمود عبد الحميد السقا، ص١٢٦، مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م.

(٢) بطن الأرض وباطنها: ما غمض منها واطمئن، ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٥٥، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه.، قوّ: موضع، لسان العرب، ٢١٢/١٥م.، عالز: موضع، ابن حجة الحموي، معجم البلدان، ٧٠/٤، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، الغضا: أرض فى ديار بنى كلاب، الغضا: واد بنجد، الغضا: شجر من أجود الوقود، الأرض ذات الغضا: أى الأرض التى فيها هذا الشجر بعينه، معجم البلدان، ٤/ ٢٠٥، النواشز: تل ناشز: مرتفع، لسان العرب (٥/ ٤١٧).

(٣) محمود شاكر، القوس العذراء، ص٣٥.

(٤) احتفل السيل: جاء بملء جنبي الوادي.

لقد استبدل الأستاذ شاكر بطلل الأماكن طللا آخر هو طلل الشعر العربي القديم، يقف على رسمه، متذكرا عذب نظمه، وحلو نغمه، ورصين لفظه في حب واعتزاز وفخر.

المطلب الثالث: الاستطراد والتوسع:

إن تلك القصيدة التي تفتقت عنها عبقرية الشماخ قبل قرون عديدة قد تلقفها خيل مبدع فذّ، استطاع أن يفصّل مجملها، وأن يضيف إليها معاني لم تتطرق إليها القصيدة المستوحاة.

فقصيدة الشماخ التي لم تتجاوز ستة وخمسين بيتا، وكان منها ثلاثة وعشرون بيتا هي موضع اهتمام الأستاذ شاكر، لكن هذا الأخير استطاع أن يستلهم منها مئتين وتسعين بيتا؛ فلله در قلمه!

وقد توسع الأستاذ شاكر في أكثر الأفكار التي عرض لها الشماخ:

-فبينما يصف الشمّاخ عامر الرامي في ثلاثة أبيات، نجد صداها في القوس العذراء عشرة أبيات، وبينما يصف الشماخ اختيار القواس لعود النبع في خمسة أبيات، يجيء صداها في سبعة عشر بيتا، وبينما يصف الشماخ إعداد عود النبع وتهذيبه في بيتين، فإن صداهما في القوس العذراء يجيء في ستة عشر بيتا، أما وصف مهارة الرامي في الصيد بالقوس فجاء عند الشماخ في ثلاثة أبيات كان صداها عند الأستاذ شاكر في عشرين بيتا، ووصفُ عناية القواس بقوسه قد جاء عند الشماخ في بيتين وعند الأستاذ شاكر في ثمانية أبيات، ووصفَ الشماخ رحلة القواس في موسم الحج ورؤية البيّع في خمسة أبيات كان صداها ثلاثة وستين بيتا، أما وصفُ الشماخ تردّد القواس في البيْع وموقف الناس منه الذي جاء في بيتين، فقد جاء صداهما في ستة وثلاثين بيتا، وأخيرا فقد وصفَ الشماخ حُزن القواس وندمه في بيت واحد جاء صداه في القوس العذراء في خمسة وسبعين بيتا.

-فإذا توقفنا عند هذا الموقف الأخير الذي توسع فيه الأستاذ شاكر بالغ التوسع، فإننا نجد الشماخ قد اقتصر فيه على إظهار حزن القواس وندمه على ما فرّط، وبيان أثر هذا الندم في نفسه وصدره، يقول: [١]: من الطويل

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتِ العَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصَّدرِ حَزَّازٌ مِنَ الوَجْدِ حَامِزِ[٢]

أما الأستاذ شاكر فقد أفاض في وصف حال القواس بعد البيْع، فنراه يصف ما يشعر به القواس من ضياع، فيقول:

مَضَى!.. أَيْنَ!.. لاَ، لَسْتُ أَدْرِي!.. مَتَى؟

لَقَدْ بِعْتَ ؟!.. كـــــلاّ وكَـــــلاّ.. أَجَلْ!

لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بِعْتَ!

كـــــلاّ! كَذَبْتَ!

لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بـــــــــاعَ!

وَيْحِي! أَجـــــــلَ

لَقَدْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. جُزِيتُمْ بَخْيرِ جَزَاء، أَجَلْ!!..

أَجَلْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا. بِعْتُهَا!! أَجَلْ بِعْتُهَا!! لاَ، أَجَلْ لاَ، أَجَلْ

أما العين التي فاضت عبرتها في قصيدة الشماح، فقد كانت أكثر بكاء ودمعا في القوس العذراء، يقول الأستاذ شاكر:

وفَاضَتِ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الحَمِيمِ، لَذَّاعَةٌ، نَارُها تَسْتَهِلْ

بُكَاء مِنَ الجَمْرِ جَمْرِ القُلُوبِ، أَرْسَلَهَا لاَعِجٌ مِنْ خَبَلْ[٣]

---

(١) الشماخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادى، ص ٩٠، وقد أعاد الأستاذ شاكر ترتيب القصيدة على غير ما هي عليه في ديوان الشماخ، فأحسن ترتيبها، وكان هذا البيت هو آخر بيت فيها.

(٢) حامز: ممضٌّ مُحرِق.

(٣) لاعج: محرق. الخبل: اضطراب الجنون.

وَغَامَتْ بِعَيْنَيْهَ، وَاسْتَنْزَفَتْ دَمَ القَلْبِ يَهْطِلُ فِيما هَطَل

كما صور الأستاذ شاكر صنوف الناس حول القواس، فقد كانوا بين مُهنئ ومُعزى، وشاكٍّ ومكذِّب لما يبدو عليه من ألم، وضاحك ومشفق، لكنهم جميعا سرعان ما انفضوا من حوله، يقول:

وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبَى عِجَالاً تَنَزى، دَهَاهُنَّ طلْ (١)

فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ! رَدَّت عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلْ!

وَمِنْ هَامِسٍ: وَيْحَهُ مَادَهَاهُ! وَمِنْ مُنْكِرٍ: كَيْفَ يَبْكِي الرَّجُلْ!

وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرْكَرَتْ ضَحْكَةٌ لَهُ مِنْ مَزُوحٍ خَبِيثٍ هَزَلْ

ومِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آكِلاً! تَلَّبسَ فِي سَمْتِ مِنْ قَدْ أُكِلْ!

وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَهُ كَالمُعَزِّي وَهَيْمَةٍ غَمْغَمَتَ لَمْ تُقَلْ(٢)

وَمِنْ مَشْفِقٍ سَاقَ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُوَلّ

وَسَالَت جُمُوعُهُمُ فِي الرِّمَالِ.. وَمَاتَ الوَغَى.. غَيْرَ حِسّ يَصِلْ

وهنا تتغير نظرة القواس البائس إلى الكون من حوله، فإذا به يبصر الكون في أبشع صوره: ضِباب، وضِباع، وحيّات، وأغربة، وشمس ملتهبة، ورؤوس لا يكاد يجزم آدمية هي أم "نزيع بصل"، يقول:

وَقَلّبَ عَيْنِيهِ: مَاذَا يَرى؟ وَأَيْنَ الزِّحَامُ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلْ!

رَأَى الأَرْضَ تَمْشِي بِهِم كَالخَيَال، أَشَبَاحُهُمْ خُشُبٌ تَنْتَقِلْ

وَهَامٌ مُحَلَّقَةٌ رُجَّفٌ، وأُخْرى بَدَتْ كَنَزِيعِ البَصَلْ

وَأَغْربةٌ بَعْضُها جَاثِمٌ يُحَرِّكُ رَأْسًا، وَبَعْضٌ حَجَلْ

---

(١) الدبَى: الجراد قبل أن يطير، تنزى: تثب وتنقز. دهاه: غشيه وأصابه.

(٢) هيمة: الكلام الخفي كالدندنة. غمغمت: اختلطت ولم تتبين.

وَحَيَّاتُ وَادٍ، لِشَمْسِ الضُّحَى تُلوّي حَيَازِيمَها والقُلَلْ[1]

وَأَزْفَلَةٌ مِنْ ضِبَاعِ الفَلاَةِ تَخْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلْ[2]

وَهَنَّا وَهَنَّا ضِبَابٌ مَرَقْنَ مِنْ كُلّ جُحْرٍ لسَيْلٍ حَفَلْ

وهذا القواس لفرط ندمه يُلقي الغِنى ويأبى عن قوسه بديلا، ويمضي صفر اليدين مخذولًا لا مال ولا قوس.

وَأَلْقَى الغنى لِلثَّرى! وَانتَحَى وَنفَّض كَفَيْهِ: [حَسْبي! أَجَلْ]

وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتَ الثِّيَابِ وَالبَزِّ نَظْرَةَ لاَ مُحْتَفِلْ!

وَوَلَى كَئِيبًا ذَلِيلَ الخُطَا، بَعِيدَ الأَنَاةِ، خَفِّيَ الغُلَلْ![3]

وبمثل هذا التوسع في المعاني والفكَر يمهّد الأستاذ شاكر للخاتمة التفاؤلية تلك التي لا نجد لها أثرا في القصيدة المستوحاة، حيث ظهرت –كما مر– أمام القواس بارقة أمل هي عود نبع جديدة أي قوس جديدة.

---

(١) الحيازيم (جمع حيزوم): وهو ما اكتنف الحلقوم والقلل: الرؤوس، والحية تفعل ذلك وهي تتشمس.

(٢) أزفلة: الجماعة تأتي مسرعة. والضباع: من لئام الحيوان. تخمع: تعرج. همل: مهملة ملقاة. الضباب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل.

(٣) الغلل (جمع غلة): وهي حرارة الحزن.

الخاتمة والتوصيات

سعت الباحثة من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على القيم الأخلاقية في قصيدة (القوس العذراء) للعلامة الأستاذ محمود محمد شاكر بمقدمتها وخاتمتها النثريتيْن، والتي مثّلت لكثير من الدارسين لها قراءة مُثلى ومنهجا تذوقيا أمثل لإحياء التراث العربي، وكان مما خلص للبحث من نتائج ما يلي:

١- كان أبرز القيم الأخلاقية في القصيدة والغرض الرئيس فيها هو إتقان العمل، فقد عرض الأستاذ شاكر تلك القيمة عرضًا فلسفيًّا في المقدمة النثرية، ثم جاء النص الشعري ليمثِّل ترجمة أدبية وفنية وشعورية لتلك القيمة من المنظور الشاكريّ، كما عرض موقف الدِّين الداعم والداعي إلى هذا الخُلُق في الخاتمة النثرية.

٢- اتصال قيمة الصبر بقيمة إتقان العمل جعل لها حضورا بارزا في القصيدة.

٣- استحالت علاقة القواس بقوسه إلى علاقة رجل بأنثى؛ لذا فقد عرض البحث القِيم الأخلاقية التي برزت في القصيدة والتي تتصل بتلك العلاقة.

٤- استثمر الشاعر مشاهد تاريخ الأمم البائدة لأخذ العظة والعبرة منه، موظّفًا ذلك توظيفا يخدم التطور الدرامي للقصيدة.

٥- نسج الشاعر لقصيدته خاتمة تفاؤلية تحثُّ على الأمل والطموح، وتنبذ الاستسلام لليأس والحزن، وبهذه الخاتمة تنبه الدارسون إلى رمزية القصيدة بحيث بدا الشاعر مُشَخّصا فيها قضية أمته في صراع البقاء.

٦- قدّم الشاعر عرضا فلسفيا لقيمة إتقان العمل والعلاقة بين الإنسان وما يبدع في المقدمة النثرية للقصيدة، في حين التزم في النص الشعري طريق التخييل متجنبا التقعيد الفلسفي والأسلوب الوعظي المباشر، ولهذه الطريقة أثرها في تفعيل الاتجاه السلوكي عند المتلقي لما لها من طوابع تأثيرية غايتها تجسيد المثال.

التوصيات

توصي الباحثة بدراسة جوانب أخري فنية في (القوس العذراء) لاسيما:

١- الحوار في القوس العذراء

٢- التلقي الإبداعي في القوس العذراء.

وفي الختام أرجو من الله ﷻ أن أكون قد وُفّقتُ فيما سعيت إليه من خلال هذا البحث، **والحمد لله رب العالمين.**

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: مصار البحث الأصيلة:

- أبو فهر محمود محمد شاكر، القوس العذراء، دار المدني، جدة، د–ت.
- الشَّمّاخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادى، دار المعارف، مصر،١٩٦٨م.

ثانيًا: مصادر البحث ومراجعه:

- ابن القيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، د–ت.
- ابن حجة الحموي، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة. ١٩٩٧م.
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، بيروت
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.
- أبو سعيد السكري، ديوان كعب بن زهير، تحقيق مفيد قميحة، دار المطبوعات، الرياض.
- إحسان عباس، القوس العذراء، ضمن دراسات عربية وإسلامية "مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين"، صنف بطريقة الجمع التصويري، مكتبة الخانجي.

- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
- البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.
- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة، ط١، ١٩٨٩م.
- الحسن بن بشر الآمدي، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- الحسين بن عبد الله بن سينا، الإشارت والتنبيهات مع شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، ط٣، دار المعاف، مصر.
- الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.
- عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.
- عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، إبريل، ١٩٩٢م.
- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- محمد محمد أبو موسى، القوس العذراء وقراءة التراث، ط١، دار غريب للطباعة، ١٩٨٣م.

- محمد مصطفى هدارة، القوس العذراء –رؤية فى الإبداع الفني، ضمن دراسات عربية وإسلامية "مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين"، صنف بطريقة الجمع التصويري، مكتبة الخانجي.
- منذر محمد سعيد أبو شعر، معجم محمود شاكر، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت –عمان ٢٠٠٧م.
- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب– الكويت، ١٩٩٦م.

ثالثًا: الرسائل العلمية والمجلات:

- صابر عبد الدايم يونس، العلّامة محمود شاكر في مواجهة النص "رؤية ومنهج"، مجلة الأدب الإسلامي، ع١٦، ربيع الآخر –جمادى الأولى – جمادى الآخرة، ١٤١٨ه.
- دراسة مقارنة في الشعر العربي... القوس العذراء مثالا، طارق عبد الحليم، بحث إلكتروني، موقع الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم، القسم الأول ديسمبر، والثاني، والثالث، والرابع، يناير ٢٠١٨م.
- عبده زايد، القوس العذراء (الصوت والصدى)، مجلة الأدب الإسلامي، ع١٦، ربيع الآخر –جمادى الأولى – جمادى الآخرة، ١٤١٨ه.
- محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.
- محمود عبد الحميد السقا، البنية السردية في القصة الشعرية القوس العذراء للأستاذ محمود شاكر أنموذجا، مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**ملخص البحث**
٢	**المقدمة**
٣	**التمهيد: مفهوم القيم الأخلاقية**
٤	**المبحث الأول: قصيدة (القوس العذراء) القيمة، والمنهج**
٥	**المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في (القوس العذراء)**
٦	المطلب الأول: إتقان العمل
٩	المطلب الثاني: الصبر
١٠	المطلب الثالث: القيم الأخلاقية في العلاقة بين الرجل (القواس) والأنثى (القوس)
١١	المطلب الرابع: الاعتبار بالأمم السابقة
١٢	المطلب الخامس: التفاؤل
١٣	**المبحث الثالث: طريقة الشاعر في تناول القيم الأخلاقية**
١٤	**المبحث الرابع: بين قصيدة الشماخ ورسالة القوس العذراء**
١٥	المطلب الأول: القوافي والألفاظ
١٦	المطلب الثاني: مفتتح القصيدة
١٧	المطلب الثالث: الاستطراد والتوسع
١٨	**الخاتمة والتوصيات**
١٩	**ثبت المصادر والمراجع**
٢٠	**فهرس الموضوعات**